روائع المسرح العالمي

٧١

الجنوب

تأليف : جوليان جرين

ترجمة : عبد الفتاح الديدي

مراجعة : الدكتور محمد غنيمي هلال

تقديم : الدكتور عبد الرحمن بدوي

الدار المصرية للتأليف والترجمة

مقدمة

جوليان جرين

للدكتور عبد الرحمن بدوى

جوليان جرين كاتب متوحد فى هذا العصر ، لا يشايع تياراته اليومية ، ولا يشارك فى أحداثه العامة ، ولو كان اليه أمر اختيار زمان مولده لاختار أن يعيش فى أعماق العصر الوسيط : ففيه ايمانه ، ونزعاته الميتافيزيقية ، ولمحاته الرمزية ، واستشعار الاسرار ، والرغبة فى التنبؤات بالمجهول والتعبير عما يتجاوز القدرة على التعبير ، حتى قال عن نفسه انه غلط فى الميلاد بهذا القرن كما يغلط المرء فى طابق البيت الذى يسكن فيه • وهو أبعد ما يكون عن « الالتزام » فى الادب ، بالمعنى الذى يستعمل به هذا اللفظ منذ الحرب العظمى الاخيرة •

أترى لهذا الموقف أسبابا من ظروفه الاجتماعية ؟ انه أمريكي الابوين ، ولكنه ولد فى باريس فى السادس من شهر سبتمبر سنة ١٩٠٠ ، وفيها درس حتى حصل على البكالوريا فى سنة ١٩١٧ ، واشتغل بالتمريض متطوعا فى الجبهتين الفرنسية والايطالية (خدمة

الميدان الامريكيـة والصليب الاحمر) ، وانخرط فى سلك الجيش الفرنسى سنة ١٩١٨ ـ سنة ١٩١٩ ، ولم يسافر الى وطن آبائه أمريكا الا في سـنة ١٩١٩ لأول مرة حيث درس فى جامعـة فرجينيـا سنة١٩١٩ـسنة١٩٢١ وقام بتدريس اللغة الفرنسية . ثم عاد الى فرنسا فى سنة ١٩٢٢ وحاول دراسة الرسم فى مرسم الجراند شوميير فى مونبارناس بباريس ، وعدل عن ذلك بعد قليل . وسافر الى أمريكا للمرة الثانيـة (نوفمبر سنة ١٩٣٣ ـ فبراير سنة ١٩٣٤) والثالثة (أبريل ـ يوليو سنة ١٩٣٧) والرابعة (فى صيف سنة ١٩٣٩ الى ديسمبر) ، ثم استقر به المقـام فيها ابتداء من يوليو سنة ١٩٤٠ ، فعاش فى بلتيمور (١٩٤٠ ـ ١٩٤٢) وخـدم فى الجيش الأمريكى (أغسطس حتى نهاية ديسمبر سنة ١٩٤٢) وفى مكتب الاستعلامات الحربيـة (يناير ـ ديسمبر سنة ١٩٤٣) ثم عاد الى بلتيمور سنة ١٩٤٤ ، وأوكلند حيث كان يلقى المحاضرات عن فرنسـا . وبعـد انتهاء الحرب عاد الى باريس فى سبتمبر سنة ١٩٤٥ واستأنف حياته فى فرنسا من ذلك التاريخ حتى اليوم .

وأبواه وأجداده أمريكيون من أصول انجليزية يغلب عليها الدم الايرلندى والاسكتلندى استقروا فى الجنوب الامريكى ، وكانوا بروكستنت كلفانيين . وعاش فى جرينوتش بالقرب من منساس فى ولاية فرجينيـا بجنوب الولايات المتحـدة . وجاء أبوه الى فرنسـا سنة ١٨٩٥ قبـل ميلاد ابنه جوليان بخمس سنوات ، وكيلا لشركة زيت بذرة القطن الجنوبية أولا فى الهـافر (١٨٩٥ ـ ١٨٩٨) ثم

في باريس من سنة ١٨٩٨ حتى سنة ١٩٢٥ . أما أمه فكانت شديدة التقوى ، تديم قراءة الكتاب المقدس ، وتهتم بماضي وطنها ، فكانت كثيرا ما تحدث ابنها عن حرب « الانفصال » التي وقعت بين الولايات الجنوبية والولايات الشمالية الامريكية بين سنة ١٨٦٠ – سنة ١٨٦٥ بسبب الرّق : فالشمال يريد الغاءه ، والجنوب يريد الابقاء عليه نظرا لاستغلال الارقاء في الزراعات الواسعة في الجنوب ، وكان انتخاب لنكولن سنة ١٨٦٠ ، وهو من دعاة تحرير الأرقاء ، ايذانا بهذه الحرب الأهلية التي استمرت أربع سنوات وانتهت بانتصار الشمال ثم مصرع لنكولن بعد هزيمة قائد الجنوب بخمسة أيام . وسيكون لهذه الذكرى ، ذكرى حرب الانفصال ، أثر بالغ في نفس جوليان جرين ، وسترى أن المنظر الخلفي في المسرحية التي تقدمها ، هنا هو هذه الحرب . وهذا الأثر ناجم عن شعوره بأنه ينتسب الى شعب مقهور هو الجنوب ، مما جعل هذه الحرب « مصدر حزن لا ينفد » ، وهو « حزن موروث (وقد يقال لي أنه حزن مستعار) ، لكنه كان ذا أثر على كيفية وجودي » («اليوميات» ح ٦ ص ٩٨) .

وماتت هذه الأم الورعة الشديدة الحساسية في نهاية سنة ١٩١٤ ، وكان لموتها أثر شديد عميق في نفسه ، اذ صارت فكرة الموت تلاحقه باستمرار ، وينعكس أثرها في كل انتاجه .

وتنازعت جرين الثقافتان الفرنسية والأمريكية : الأولى لأنه

شب عليها ، والثانية لأن أصله أمريكي على كل حال • وهو يقرر بصراحة نصيب كليتهما المتكافىء في تكوينه : « يقال أحيانا ان أكبر تأثير أدبي في حياتي هو تأثير بو و هوثرن (وكلاهما أمريكي) ؟ ولكن هذا معناه اغفال الثمانية عشرة سنة الأولى التي قضيتها في فرنسا » («اليوميات» حـ ٦ ص ٧٥) •

كما تنازعته البروتستنتية ، مذهب أجداده ، والكاثوليكية مذهب فرنسا السائد • وعانى من التوتر بين كلا المذهبين في نفسه ، وقد سبقه أبوه فتحول من البروتستنتية الى الكاثوليكية • أما صاحبنا فقد خطا هذه الخطوة وهو في سن السادسة عشرة وعن هذا التحول يقول : « وقع لي ذات يوم كتاب كنت أرى والدي يديم قراءته •• وهو كتاب « ايمان آبائنا » للكردينال جيبونز • وكان لهذا الكتاب أثر حاسم في توجيه ايماني ، الى جانب « أفكار » بسكال التي كنت أقرؤها وأنا راكع • فأبديت رغبتي في معرفة العقيدة الكاثوليكية •• فأرسلوني الى قسيس أخذ يعلمني الدين ، ثم عمدت بعد ذلك بوقت ما » (« الأنباء الأدبية » ، ٤ مارس سنة ١٩٥٤ ، حديث لجوليان جرين مع جبريل دوباريد) •

لكن كانت تعتوره أزمات دينية ، بين الحين والحين • وفي احدى هذه الأزمات سنة ١٩٢٤ كتب رسالة عنيفة « ضد الكاثوليك في فرنسا » باسم مستعار هو تيو فيل دلابورت ، وفيها عرض رأيه فيما ينبغي أن تكون عليه الكثلكة ضد المتزمتين • وقبيل الحرب العالمية

الثانية أهتم بالديانات الهندية ، ولكنه ظل دائما فى فلك الكاثوليكية ، حتى أنه ليعد دائما من بين الكتاب الكاثوليك ، وان كان هو نفسه أحس ببعض الضيق من هذا الوضع . والسبب فى هذا هو اهتمامه البالغ بأمر الدين . ولقد قال : « اذا كنت قد أخذت شيئا مأخذ الجد دائما ، فهو الدين . ان الدين يستولى على قلبى أكثر مما تعتقد ؟ وهو عندى يرتبط بالحب ، لأنه هو أساسا محبة ، وما عدا ذلك ، كله ، مهما يكن برّاقا مغريا ، قد بدا لى مجرد عدم ، حتى لو جذبنى سحر هذا العدم » (« اليوميات » حـ ٤ ص ١٧٤) .

وعانى أزمة أخرى فى ربيع سنة ١٩٣٩ ، عاد بعدها الى حضن الكنيسة الكاثوليكية نهائيا وبدون تحفظ .

ولقد قلنا انه تأثر بهوثورن و بو . أما عن الأول فثم دراسة كلارك كيتنج بعنوان « جوليان جرين وتثانيل هوثورن » (« المجلة الفرنسية » مايو سنة ١٩٥٥ ص ٤٨٥ – ٤٩٢) وفيها يبين أوجه التشابه والتأثير بين كليهما ، وان ثمّ كثيرا من المبالغة فى تلمّس الأشباه والنظائر . على أن جرين نفسه يقول عن هوثورن : « ان حياة هذا الكاتب ، وهى حياة جد واجتهاد ، مصبوغة بالملال والخرافات مع بعض السرور الجاد من بعض ألوان الجمال التى لن أناقشها ، بيد أن ولعه بالامان الأخلاقى والترف العقلى يضايقنى » (« يوميات » حـ ٣ ص ١٢٦ – ١٢٧) . لكنه أعجبه فيه ايمانه بالقضاء وحتمية

الشر ، وبالقوى المستسرّة التي تؤثر في حياة الناس دون أن يبينوها . لكنه كما يخفف من فكرة تأثره بهوثورن ، رغم المشابهة الواضحة ، نراه ينكر تماما تأثير بو (اليوميات من ص ٦ حتى ص ٥٣) . ويرى أن بو لا يمثل أمريكا ، بسبب نزعته المرضية الحزينة ، واضطراب توازنه العقلي .

أما من المعاصرين فقد أعجب خصوصا بأندريه جيد ، وقامت بينهما صداقة وثيقة استمرت أكثر من عشرين عاما ، وترددت أصداؤها في « يوميات » كليهما . وكثيرا ما حاول جيد أن ينتزع جرين من تقواه ، ولكن عبثا ، فقد ظل ايمان هذا الأخير راسخا كالطود لا يزعزعه شيء كما أعجب بقصص فوكنر ، وايجاز تعبيره بحيث خلا أسلوبه من كل محسنات بلاغته ، وألفاظ لا محل لها .

وخير انتاج جرين في نظري « يومياته » . لكنه اشتهر خصوصا بوصفه قصصيا .

وهو قد ألف حوالي اثنتي عشرة قصة ، أشهرها : « أدريين مزورا (١٩٢٧) ، « لويشان » (سنة ١٩٢٩) ؛ « حطام » (سنة ١٩٣٢) ، « نصف الليل » (سنة ١٩٣٦) ، « فارونا » (سنة ١٩٤٠) ، « مديرا » (سنة ١٩٥٠) .

وأشخاص رواياته وان استمدوا من الواقع فانما يقصد بهم

المؤلف نماذج عارية عن ملابسات الزمان والمكان • انهم يمثلون الوجود المجرد ، ويستندون الى القوى المتسرة ، ويهيبون بالأسرار الخفية ، وتعتلج فى نفوسهم معانى الملال ، واليأس ، والاختناق ، والشعور بعبء الوجود • ولهذا يعدّ جرين من القصصيين المتافيزيقيين •

لكن ليس معنى هذا أنه يغرق فى الخيال . لا ، انه من أشد القصاص حساسية بالأشياء والأحياء • يصف التفاصيل بدقة بالغة ، ويجعلنا نعيش فى الوسط الذى يحيا فيه أشخاصه ، واللوحات التى يقدمها عن الأماكن ، فى المدينة أو فى الريف ، تكاد فى وقتها وواقعيتها تنافس أشهر لوحات بلزاك فى قصصه العظيمة ؛ وحتى النكات الخفيفة ترنّ فى القصص بتأثير موجٍ عظيم النفوذ فى النفس • والنسمات الصغيرة ، ولكنها مشحونة بالأحاسيس ، تتجلى بحيث توصى بالجوّ العارم : من أثاث ، ونوافذ ، وستاجيد ، وستائر ، وما لها من همس وايحاء أو تمييز للوسط الاجتماعى • والأوصاف الشهوانية ـ عند هذا القصصى الميتافيزيقى ـ حيّة مع ذلك تتسم بعرامة الشهوة ، لكن دون أن تترخص فتشارف الاستجداءات الجنسية التى تطلب الاستثارة السطحية الرخيصة • ذلك أن جرين ، كما قال جايتان بيكون (« آفاق الأدب الفرنسى الجديد » ص ٩٨ ، باريس سنة ١٩٦٠) « لم يكفّ عن النضال ضد سحر الشهوانية : والاغراء الجسدى كان دائما ، عنده ، رمزاً على السقوط • وهو يستحضر الآن اغراء الحلْم ، والتحرر عن طريق

الخيالي الذى احتجزه وقتاً طويلا . والسيد ادم فى قصة « منتصف الليل » يعلم الانفعالى والحالم أن التحرر الوحيد هو التأمل الروحي واخفاق فابيان (فى قصة « لو كنت أنا أنت ») يشهد على هذا الدمغ المزدوج للشهوانية والسحر : لقد أراد أن يخرج من حاله بوصفه انساناً ، وأن يكون غير نفسه مستندا الى حيلة شيطانية لا يمكن أن تكون غير حلم ، وشق لهـا الطريق اغراءُ الجسد . لكن المـرء لا يهرب من العالم بواسطة الحلم ، وهيجان الحواس يختم علينـا الأبواب التى يعتقد أنه يزعزعها . ان النجاة فى اتصال الروح بما هو غير مرئي ـ أى بالدعاء والصلاة والايمان » .

وكل شخص فى رواياته يتميز بخصائص فزيائية واضحة ، وشدة معينة ، ونبرة صوت خاصة ، ورائحة خاصة : فهو يقول عن مدام يوك انه كان يحيـط بهـا عطر الليلك « الذى بدا وكأنه مكمّل لصوتها ونظرتها ، ولونا من الرقة المضافة الى الألم » (« المـانيكان » نشرت فى « قمريات » ص ١١) ؛ ويصف أدريين مزورا : « شعرها الأسود الجميل الخصال الذى يتهدل خصلاً على طول خديها ، وحواجبهـا المستقيمة المتوترة ، وحدقيتهـا الزرقاوين ، وفمها ذا الشفتين الحـافلتين اللتـين لا تنفرجان » (قصـة « أدريين مزورا » ص ٤١ ـ ٤٢) .

ويشيع فيها جميعا تأثير الأحلام ، والقوى الخفية ذوات النداءات الرهيبة التى تنبىء عن المصير وترشد السلوك . ففى رواية « النوم

الأخر يقـول الراوى أن من « غرائب روحى ألا أعتقد فى شىء الا اذا كنت حلمت به » . والحلم يرشـد الانسـان عن طبيعتـه ولا عجب فى أن يتـأثر جرين بفـرويد ، وخصـوصاً بيونج فى الاهتمام بالأحلام ودلالتها والدور الذى تلعبه فى حيـاة الانسان . ولقـد قال جرين فى يوميـاته : « كل كتبى انبثقت عن أحـلامى » (« يوميات » جـ ٦ ص ٢٢٠) .

أما المستتر الخفى فيلعب دوراً أكبر ؛ ولقد قالت بطلة الحكاية الثالثـة فى « فارونا » ان المـرء ليكشف عما يستتر وراء الظواهر ، وذلك بنوع من البصيرة الثانية .

وهؤلاء الأشخاص فى الغالب متمردون ، لا يحسنون الاتصال بالناس . ذلك لأن جرين يؤمن بأن « الموجود الانسانى منفصل عن باقى الانسانية بحاجز لا يزول أبدا أو لا يكاد . وتلك هى مأساة كل منا .. وما نفكر فيه بعمق لا يكاد يكون من الممكن ايصاله للغير . صحيح أن الحب أحيانا يجزر ، لكن هـذا امتياز للحب ، وللحب وحـده » (« يوميـات » جـ ٢ ص ١١٣) . وهـو يود أن « يكتب قصة انسان يدل مظهره الخـارجى على أنه ذو نفس مطمئنة هادئة تماماً ، بينما الواقع هو أن وحـدة هـذا الشخص يحيلهـا الجوع الجنسدانى الى مأساة » (« يوميات » جـ ٣ ص ٢٧) . ومن دلائل هذه الوحدة الانسانية الحب غير المتبادل ، والحب الذى لا يستطيع أن يعبر عن نفسه ، ولا أن يصرح بحبه لمن يحبه ، وبالجملة كل

أنواع الحب المستحيلة . وهذا هو الموضوع الرئيسى فى المسرحية التى نقدّم لها هنا .

وهذا يفضى بنا الى الحديث عن مسرحيات جوليان جرين .

وجرين طرق أبواب المسرح متأخرا ، وله فى المسرحية نظرة خاصة .

فقد ألف أولى مسرحياته وهى مسرحية « الجنوب » التى نقدمها بين يديك الآن ، فى سنة ١٩٥٣ ، ومثلت لأول مرة فى مسرح الأتينيه ـ لوى جوفيه (ادارة لوى جوفيه الممثل العظيم) فى ٦ مارس سنة ١٩٥٣ ، وهو اذن فى سن الثالثة والخمسين ، والذى حثه على كتابتها هما المخرجان والممثلان العظيمان لوى جوفيه وجان لوى بارو .

أما نظرته الى المسرحية فنظرة أرسطوطالية كلاسيكية خالصة . وقد وضع الغاية التى قدرها أرسطو من المأساة رمزاً لمسرحيته الأولى ، وهى : « التطهر من وجدان خطر بواسطة تحرر عنيف » ولهذا كان يحب أن يهدف المسرح الى المزيد من الانفعال المنبعث عن القَلْب لا عن العقل .

وهو حين يؤلف مسرحية فانه لا يعلم مقدماً موضوعها الحقيقى ولا عقدها ، بل يأتى ذلك مع التأليف . فقد قال فى « يومياته » عن مسرحية « الجنوب » هذه : « لقد كتبت هذه المسرحية بطريقة غريبة .

اذ اكتشفت موضوعها الحقيقى عند نهايتها ، كما جدث لى مراراً مع كثير من مؤلفاتى الأخرى ... ان أشخاص رواياتى كثيراً ما تتجاوزنى ، ذلك أنهم مراؤون ماكرون » (« يوميات » ج ٦ ص ١٤٥) .

وهو يميل الى الايماء والايحاء ، ولا يكاد يصرّح أبداً بالأمور الرهيبة المدموغة بصفة الحرام ، كما هو واضح جداً فى مسرحيتنا هذه . فيأتى فيشفسكى بطلها لا يشير ولا من طرف بعيد الى حبه لاريك مالك كلور ؟ كما أن برودريك لا يكاد يكشف الا تلميحاً عن تفكيره فى الانتحار .

وأبطاله مثل يان هذا لا يملكون الاّ أن « يرتموا بأنفسهم ضد المصير مثلما يرتمى المرء ضد الجدار » . انهم يثورون على المقادير، لكن المقادير تصرعهم ؟ وعلى الوجود ، لكن الوجود يهزمهم . ونفوسهم أسيانة ، والقوى الخفية تناديهم أو تنذرهم ، ولكنهم لا يملكون توجيهها لصالحهم . ان وجودهم هو الوجود الذى نعته هيدجر بأنه « وجود أُسْلِم الى ذاته » .

وجرين متأثر بفكرة « المواقف الجدية » عند يسبرز ، وهى تلك الأوضاع التى فرضت علينا فرضاً ولا نملك منها فكاكاً : مثل الميلاد ، والوطن ، والوراثة ، والكفاح ضد المصير ، والموت ، الخ . وفى مسرحية « الجنوب » هذه تجسيد رائع لهذه المعانى أو المقولات الوجودية الأساسية .

وفى هـذه المسرحية التزم القواعد الكلاسـيكية : وحـدة الزمان والمكان والفعـل •

والمسرحية الثانية هى مسرحية « العدد » (١٩٥٤) التى أصدرها فى السنة التالية ومثلت لأول مرة فى مسرح « البوف باريزيان » فى أول مارس سنة ١٩٥٤ ، وهى من حيث الصنعة أجود من الأولى ؛ ولكنها أقرب الى الدرامات الدينية ، وبطلتها فتاة لم تكتشف طبيعتها الحقيقية ، وهى أنها صوفية ، الا فى اللحظة التى استسلمت فيها لمن غرّر بها ؛ وهو راهب خلع خرقـة الرهبنة • لكنها تفقـد عقلهـا ، وتستغرق فى الهذيان ، ولا ينجيها الا الصلاة والدعاء •

والمسرحية الثالثة هى « الشبح » (سنة ١٩٥٦) • وخلاصتها أنه قبل بداية المسرحية بعشر سنوات قتل جيمس فريس ، فى لحظـة انفجار وجـدانى ، ايفانجلين أندرسـون ، زوجة خير أصـدقائه • وعرضت القضية على المحكمة فقررت أن الموت عارض • لكن فيليب أندرسون ، الزوج ، عاش سنوات بعد ذلك وهو يظن أن زوجتـه خانته مع صديقه فريس • وقبيل وفاة فريس اعترف لصديقه بالحقيقة وقال انه أحبّ ايفانجلين ، لكنها لمـا رفضت الاستجابة له دفع بهـا من أعلى الهضـبة • وتزوج فيليب مرة أخرى ، وعاش عيشة هادئة مع زوجته وابنتـه لوسـيل ، لكن « شـبح » ايفانجلين كان يطارده باستمرار • لقـد كانت طاهرة ، فـلا عليـه اذن الا أن يظل وفيا لحبها ، مما يدفعـه الى الفتور بازاء زوجتـه الثانـية • ثم يجيء ابن

فريس ، امتثالاً لوصية أبيه ، فيزور فيليب ويظهر اهتمامه بلوسيل، لكن فيليب يتذكر أحداث الماضى الأليمة ، وما جرى لزوجته ، فيمرض وجداناً وغيرة ، وينتهى به الأمر أن يلقى بنفسه من أعلى الهضبة ليلحق بزوجته العفيفة الشهيدة ايفانجلين .

مسرحيـة « الجنوب »

قلنا ان هـذه المسرحية هى أولى مسرحيات جرين ، وانها مثلت لأول مرة على مسرح الأتينيه الذى يديره المخرج والممثل العظيم لوى جوفيه ، فى ٦ مارس سنة ١٩٥٣ .

وهو يقول فى « يومياته » (ج ٦ ص ٣٣) : « وصلتنى رسالة من لوى جوفيه يطلب منى فيها أن أكتب مسرحية ... ورسالة حارّة تحثنى بالحاح . وهى استمرار لأحاديثنا قبل الحرب حول هـذا الموضوع » . وكان جرين قد فكر فى ترجمة مسرحية « ادوارد الثانى » لمارلو ، ولكن جوفيه ولوى بارو نصحاه بأن يؤلف مسرحية أصيلة . وأخيراً استجاب لهذا النداء ، فألّف هذه المسرحية .

وهو يقول فى مقدمتها انه كتبها كردّ فعل ضد أدب متفاوت القيمة ترجع أصوله الى حوالى سنة ١٩٥٥ ، كان يفسر فى نظره الموضوع النبيل الجاد بوصفه على مستوى جسدانى خالص . ويلخص المسرحية فيقول :

« عشية حرب الانفصال ، اكتشف ملازم أمريكي طباعه العميق وحبّه المستبد لما أن شاهد شاباً لم يكن يعرفه الا بالاسم . فأصابه حينئذ خوف مروّع ، لكنه استطاع أن يتغلب عليه . وسعى للفرار من قَدَره ، فطلب يد فتاة ، هي أنجيلينا ، لم يكن حتى ذلك الحين قد أعارها غير انتباه ضئيل جداً ؛ لكن يظهر بوضوح أنه ليس عاشقاً لها ، ويقول له ذلك ثلاثة أشخاص ، كل منهم بطريقته الخاصة ؛ أنجلينا أولاً ، ثم أبوها ، ثم جِمِي ، وهو صبيّ في الرابعة عشرة من عمره تتحدث بزاءته بغير التواء . ويحاول الملازم فيشفسكي أن يعترف بحبه لمحبوبه ، لكنه لا يستطيع ذلك تماماً ، ويجدد حركة صدرت عن أحد أجداده في ظرف مشابه لهذا ، فيحاول أن يقتل ايريك ماك كلور . وليتحداه لمبارزته سبّه وصفعه ؛ لكنه في أثناء المبارزة الفردية معه يقدم نفسه ضحية للرجل الذي جعل منه عدوّاً له ، فيموت بيديه .

« ولا حاجة بنا الى القول بأن هذه الدراما ستكون مستحيلة في سنة ١٩٥٣ ، لكننا في سنة ١٨٦١ ، في وسط قرن كان فيه يخيّم على هذا النوع من الوجدان صمت مدمر . وخطيئة بان فيشفسكي ليست في أنه أحبّ ايريك ماك كلور ، وانما خصوصاً في أنه جعل امرأة تتألم بقسوة ، وسيسألها المغفرة . وليس عنده بأي حالٍ من الأحوال الشعور بأنه منبوذ أو أبرص . كما سيقول هو نفسه قبل أن يدع نفسه يُقْتَل : « لست أشعر بالعار ، لكني أشعر بأني وَحْدي » .

« ولكي احتفظ لهذه المسرحية بكل الجلال الملازم للمشاكل التي تثيرها ، أردت أن أعطيها الخطوط العامة للمأساة » .

والاطار التاريخي هو عشية حرب الانفصال . ولهذا كانت مشاكل الحرب ، وتحرير العبيد ، والمطامع في الثروة والاستغلال ، والنزعة الانسانية التي تطالب بتحرير الانسان ، وترى في استعباده — مهما كانت صور هذا الاستعباد — مصدر الشر الأكبر والشقاء الذي تعانيه الانسانية — كل هذه هي المعاني الأساسية التي يتألف منها نسيج هذه المسرحية . وتأثير القوى الخفية ظاهر في كل الأشخاص ، ويتخذ نفيراً له شخص العم جون ، العبد الذي أُعْتِق ، فهو بتنبؤاته وتحذيراته يمثل صوت العدالة الانسانية ، والتشوّف الى تحقيقها ، ذلك الصوت الأبدي الذي لن يخفت أبداً ، لأن ظلم الانسان للانسان لن يتوقف أبداً .

دكتور

عبد الرحمن بدوى

« تطهير عاطفة خطيرة بالتحرير العارم »
هكذا يعرف أرسطو المأساة ولا أرى امكان
إعطاء المسرحية التي ستقرؤها تلخيصا
أفضل من هذه العبارة

شخصيـــات المسرحيـــة

يان فيشفسكى ـــ ضابط عمره ٢٤ أو ٢٥ سنة .

ادوارد برودريك ـــ أرمل عمره ٤٠ ســـنة .

جيمى ـــ عمره ١٤ سنة وهو ابن ادوارد برودريك .

السيد هوايت ـــ مربى جيمى عمره ٦٠ سنة .

ايريك ماكلور ـــ ٢٠ ســـنة .

العم جـــون ـــ أسود عمره ٧٠ سنة أو أكثر .

شاب أســـود

فتـــاة ســـوداء

جيريمى ـــ **اســـود**

ريجينـــا ـــ ٢٢ سنة ابنة أخ ادوارد برودريك .

مسز استرونج ـــ أخت ادوارد برودريك وهى أرملة .

انجيلينـــا ـــ ابنة ادوارد برودريك وعمرها ١٦ سنة .

الـــيزا

السيدة ريولو

الآنسة ريولو ـــ ابنتهـــا .

فى مطلع الفصـــل الأول نستمـــع الى المقطوعتين الأوليين من النشيد الكنسى :

(ابق معى) ..

الفصل الأول

المنظر الأول

(عند رفع الستار يرى الملازم أول يان فيشفسكى واقفا عن يمين المسرح فى سكون تام ، وقد أدار ظهره الى المتفرجين . يمسك فى يده بعصى صغيرة . نسمع عن بعد نشيدا كنسيا دون تمييز للعبارات . بعد لحظات قليلة تدخل ريجينا جريا من ناحية الشمال وتتجه نحو النافذة بدون أن تلمح الملازم فيشفسكى . تنظر نحو الشارع كما لو كانت تبحث عن شخص ما ثم تقف بلا حراك مصغية الى النشيد الذى كان قد انتهت فى تلك اللحظة مقطوعته الأولى .

وبعد لحظة تتلفت كما لو كانت قد خمنت وجود أحد ما ، وترتعد) .

ريجينا : لقد أرعبتنى يا ملازم فيشفسكى . لا أدرى ماذا تفعل كى تبرز فجأة حيث لا يتوقع أحد أن يراك .

يان : هل توقعت أن ترينى فى الشارع ؟

ريجينا : كلا . لماذا تقول هذا ؟

يان : كان يمكن أن أكون فى الشارع .

ريجينا : اسمح لى أن أقول لك انه يستوى لدى أن تكون فى الشارع أو فى أى مكان آخر (صمت) .

لقد أردت التحقق من عودة انجيلينا من الكنيسة .

يان : اذا توقعت أنه يمكنها أن تخرج قبل نهاية القداس فأنت أبعد ما تكونين من معرفتها حق المعرفة . فهى تخاف الله ، وترهب والدها كاحدى بنات الجنوب الحقيقيات .

(صمت)

توجه الجميع بعد ظهر اليوم الى ذلك الكوخ الخشبى الذى يسمونه كنيسة فيما عدانا نحن الاثنين . فنحن حقا على انفراد بالبيت .

ريجينا : هل يضايقك عدم الذهاب الى الكنيسة يوم الأحد ؟ .

يان : فيما يتعلق بهذه المسألة ، لا شىء يثير أحاسيسى . من الثابت أنه لا توجد كنيسة كاثوليكية فى هذه المنطقة .

ريجينا : ما وقع هذه الأناشيد فى نفسك ؟

يان : لا شىء البتة .

ريجينا : مهما حاولت فلن تصير واحدا منا . يظل لهذه الأناشيد القديمة وقع كبير حتى فى نفسى أنا برغم أننى من الشمال ، ولا أعتقد فى الكنائس . أما أنت فمن غير هذه البلاد .

يان : سكان أمريكا هم من غير هذه البلاد .

ريجينا : على أنه لا يلبث الواحد منهم أن يحمل طابع الأسرة فى النهاية على أية حال ... أما أنت فلا ... ستظل غريبا على الرغم من هذه الملابس العسكرية .

(تدير رأسها عندما تقول هذه العبارة) ..

أخبرتنى أنجيلينا أنك أتيت الى هذه البلاد مع جدك فى سن الثانية عشرة ـ أهذا صحيح ؟

يان : نعم ، لقد هاجرنا من بولونيا بعد ثورة ١٨٤٨ .

ريجينا : أكانت ثورة ضد الروس ؟

يان : بل ضد البروسيين . لقد شنقوا والدى فى أحد ميادين بوزين مع ستة آخرين من المتآمرين . وفى تلك الليلة أيقظنى جدى وهربنا .

ريجينا : والبروسيون ، ألم يصيبوك بضرر ؟

يان : لا .. لا شىء . ولكنهم جلدونى بعد تنفيذ الاعدام للعبرة على حد تعبيرهم . هذا كل ما فى الأمر .

ريجينا : جلدوك ولا تجد ضيرا فى ذلك ؟

يان : (ضاحكا بهدوء) مضى على ذلك اثنا عشر عاما وخفت آثار الألم .

ريجينا : لم قلت منذ قليل اننا كنا وحدنا بالبيت ؟

يان : أليس هذا صحيحا ؟

ريجينا : لا . فالزنوج هناك .

يان : الزنوج لا يحسبون . انهم كقطع الأثاث .

ريجينا : (بجفاف) لا أوافقك على هذا الرأى .

(صمت)

هل لك أن تجيب على سؤالى ؟

يان : لماذا قلت اننا كنا وحدنا ؟

ريجينا : نعم .

يان : (ملتفتا نحوها) كى أتيح لك فرصة محادثتى .

ريجينا : (مهتاجة فجأة) وعن أى أمر ويلك تريدنى أن أحدثك ؟

يان : تعرفينه بمقدار ما أعرف .

(النشيد يتوقف) .

ريجينا : هل انتظرتنى هنا لتقول لى ذلك عند دخولى ؟

يان : لم أكن أنتظر ، بل كنت هنا .

ريجينا : لا أستسيغ كلامك . فى الحقيقة لا أستسيغ شيئا مما تقوله وأصغى اليك برغم أنفى ، ولكنك واهم اذا اعتقدت أن عندى ما أسرّ به اليك .

يان : سأنتظر .

ريجينا : أنت وقح ، وشرفى !

يان : نعم ، يا آنسة .

ريجينا : هل تعرف أننى منذ لحظة أفكر راضية كل الرضى عما رويته لى منذ قليل . نعم من الممتع أن أعرف أنهم جلدوك .

يان : يالها من فكرة طيبة . اشرحيها .

ريجينا : يخيل الىّ أن تأديبك بالجلد كان دينا عليك . فقد كنت تستحقه من قبل بموجب ما سيصدر عنك من سفاهات وابتسامات وسخرية ... على الطريقة الأوربية . ظللت أنتظر هذه الفرصة ثلاثة أيام لأقول لك ذلك فى وجهك ، لا أحبك يا ملازم فيشفسكي .

يان : كان لديك ما أردت أن تقوليه كما ترين .

ريجينا : فى طباعك ما لا أعرف من أمور لا تروقنى ، على أنها مستعصية على ادراكى ، آه ! أنى أكلمك فأفرط فى مكاشفتى لك ، فأتعرض مرة أخرى لسخريتك التى لا تبدو فى سوى نظراتك .

يان : ولماذا تحولين عنى نظراتك وأنت تقولين هذا ؟

ريجينا : (تنظر اليه وجها لوجه) أنا لا أحولها ، ولكني أحدثك كما هي العادة عندنا • لست أملك دهاء النساء فى الجنوب ممن توجه اليهن ثناءك المليء بالنفاق •

(تقترب منه قليلا قليلا) •

قد نشأت على يد أناس كانوا لا يكذبون علىّ ، وما أبغضه فيك هو الكذب •

يان : الكذب ؟ ولكن لماذا تريدين أن أكلف نفسى مشقة الكذب عليك ؟

ريجينا : لن تكذب علىّ أنا طبعا • فلست سوى القريبة الفقيرة ، والمرأة الطيبة الهينة القيمة التى جاءت من الشمال ، ولا يلقى اليها بالا ، وما هى كذلك بذات جمال بارع • تعتقد أنك ذو حدس صادق يا ملازم فيشفسكى ، ولكنى كذلك مثلك ، وأراك تكذب من رأسك الى قدميك فى بعض الأيام •

يان : أأستطيع أن أذكرك أنك قريبة السيد برودبريك، وأننى اذن ، تحت سقف بيتك ؟

ريجينا : هل أنت مخبول ؟ لست فى بيتى هنا • بيتى بعيد هناك فى الشمال • لقد أتوا بى الى هنا لأن عمى الذى كان يربينى أفلس ، وعرض ابن عمه السيد

برودیریك علیه أن یستضیفنی فی مزرعته . ولو بقی والدای أحیاء ما حضرت هنا قط . فأنا أکره المزرعة ، وقضیت هنا شتاء ، شتاء بلا جلید ، وبی حاجة الی رؤیة الجلید .

(یان تعروه هزة) .

هـــل تعرف لـماذا انفردت بك فی هـذا البیت ؟ ذلك أنهم قدّروا أنه لا أهمیـة لذهابی أو عـدم ذهابی الی الکنیسة .. ! لا بد لهم دائما من بذل جهـد کی یذکروا أننی وهـم من دم واحـد . فلتعمل الغریبة ما تشاء ، ولتکن من أنصار الوحدة مثـل امرسون الفیلسوف . فـلا تقل اذن أنك تحت ســـقف بیتی وانی لا یمکن أن أکلمك کما أرید .

یان : أنت أیضا من غیر هذه البلاد .

ریجینـا : لیست حالنا واحـدة فأنا أمریکیة علی الرغم من کل شیء .

یان : قد تحدثت عن الجلید من قبل .

ریجینـا : نعم لعل هذا أمر صیانی فیما یبدو لك .

یان : لا ؟ کلا !

(بصوت مختلف) .

أنا بحاجة مثلك الى رؤية الجليد • ففى بعض اللحظات الطائشة أتصور أننى اذا فتحت مصاريع الشباك سأرى المراعى ناصعة البياض تحت الشمس • وسأقشعر وأضحك سعادة كطفل يرغب فى الصراخ والجرى لاحساسه برائحة البرد العجيبة •

ريجينا : لا • لا تقل هذا • لا أحب أن تتكلم فى هذا الشأن • ها نحن أولاء على عتبة الصيف ، وعما قليل ينفث السعير أنفاسه فى وجوهنا •

(صمت)

كم من الوقت ستبقى هنا ياملازم فيشفسكى ؟

يان : ينتهى تصريحى بعد خمسة أيام •

ريجينا : معنى هذا أنك سترحل يوم الجمعة ؟

يان : فى فجر يوم الجمعة • ثلاث ساعات على ظهر الحصان من هنا الى ساحل البحر •

ريجينا : فى الحقيقة لم يبق سوى أربعة أيام • فاليوم لم يعد يحسب •

يان : نعم أربعة أيام كما تقولين • هذا ما لم تقم الحرب قبل ذلك •

ريجينا : الحرب ! حتى أنت تعتقد فى الحرب ؟

يان : ما دام الجميع يقولون أن الحرب آتية فلا بد أن تقـــوم فى يـــوم من الأيام . أما ما لا يرد على ألسنتنا فلا يحدث أبدا .

ريجينا : ماذا تصنع اذا قامت الحرب ؟

يان : سأعود الى عملى ، ياآنسة .

ريجينا : ومعنى هـذا فيما أفترض أنك ســـتظل مخلصا للحكومة . لن تهرب الى معسكر المتمردين .

يان : ها هنا مشكلة سأجد لها حلا وحدى فى اللحظـة المطلوبة .

ريجينا : من السذاجة أن أواجهك بها . ولكن لمن ستكون مخلصا طالمـا أنك بغير جذور فى البلاد ، لا فى الشمال ولا حتى فى الجنوب ؟

يان : (يرفـع أكتافـه) وأنت نفسك كيف تبقين هنـا بآرائك المعروفة . ألست الآن فى قلب الأعداء ؟

ريجينا : قلت لك من قبل انني هنا رغم أنفى . لا أستطيع الســـفر .

يان : عليـك اذن فى حالة الحـرب أن تخضعى لقـانون ولايات الجنـوب وأن تتحدثى بلهجة الجنوب .

ريجينا : أبدا لن أفعل .

يان : سيعرفون كيف يغرونك . فليس فى الجحيم ما يشبه سورة المدنيين فى غضبهم فى زمن الحرب. وفى أقل من ستة أسابيع سيجعلون منك داعية متحمسة الى الرق .

ريجينا : (ضاربة الأرض بقدمها) لو كنت رجلا لما جرؤت على شتمي .

يان : هذا بعيد عن قصدى ، غير أنى ألحظ أنك تبقين فى الجنوب فى حين أنك من الشمال وقد صارت الحرب متوقعة .

ريجينا : للمرة الثالثة أقول لك أننى لا أستطيع السفر .

يان : يمكنك السفر اذا أردت والسيد بروديريك سيعاونك فى ذلك .

ريجينا : وما مبلغ علمك بهذا الأمر ؟

يان : لقد قال لى ذلك .

ريجينا : هل حدثته عنى اذن ؟

يان : نعم .

ريجينا : اذن لماذا تدخلت فى الموضوع ؟ ماذا يهمك أنت أن أبقى أو أن أذهب ؟

يان : لا شيء ، على أنى أردت أن أوضح لك أنك اذا بقيت هنا فذلك بمحض رغبتك .

ريجينا : ليس هذا صحيحا .

يان : لقد أبلغنى السيد بروديريك توكيده القاطع أنه سيتولى ترحيلك الى بوسطون فى مدى ثلاثة أيام لو أبديت الرغبة .

ريجينا : أمن أجل أن تقول لى ذلك كنت تنتظرنى هنا ؟

يان : لقد قلت لك من قبل أننى لم أكن فى انتظارك . ولكنك تضيعين وقتا ثمينا بامتناعك عن قول ما يشغل قلبك .

ريجينا : ما يشغل قلبى ؟ ما دمت تريد أن تعرف ذلك بأى ثمن فان ما يشغل فؤادى أننى سأبقى وسأبقى وسأبقى . هل تسمع ؟

(تقترب منه اكثر) .

يان : (دون أن يتحرك) ولماذا تبقين ؟

ريجينا : لدى حججى يا ملازم فيشفسكى .

يان : من بين جميع هذه الأسباب يوجد سبب واحد صائب وهو الذى لا تعترفين به . الكبرياء تضيق عليك الخناق ، يا ريجينا .

ريجينا : كيف تجرؤ ؟

(وقع خطوات) .

يان : هم قادمون وأنت جد قريبة منى حتى ليمكن أن يعتقدوا تقريبا فى كل ما يريدون اعتقاده • أنت حمقاء يا آنسة •

(ريجينا تبتعد فى عنف ــ تدخل مسز استرونج من ناحية الشمال وتتبعها فتاة زنجية صغيرة) .

* * *

المنظر الثانى

مسز استرونج : من الحمقاء ؟ بنت أخى ؟

يان : لا شك أننى أقحم نفسى فيما لا يعنينى ، ولكننى كنت أقول للآنسة ريجينا ان البقاء هنا فى حين يتضح خطر الحرب كل يوم بشكل أدق ...

مسز استرونج : لن تقوم الحرب ولا أريد الكلام فى هذا الموضوع . خذى ، يا بنت ، القبعة والشال والقفازات والكتاب والمظلة .

(تعطى هذه الأشياء الى الزنجية الصغيرة أثناء كلامها) .

أعطنى مروحتى وأرفعى المصاريع قليلا .

(تفعل الزنجية الصغيرة ما أمرت به وتجلس مسز استرونج على كرسى متحرك) .

حسن . انصرفى .

(تخرج الزنجية الصغيرة) .

ريجينا . لماذا تنظرين الينا بعيون شريرة وشرفى انها لتبدو كما لو كانت ستقفز من وجهك وتتدحرج على السجادة . انصرفى يا بنيتى .

ريجينا : يا خالتى . لو ..

(وهى تنتصب مغضبة فى كرسيها) .

مسز استرونج : أنا قلت .

(ريجينا تخرج من ناحية الشمال) .

لماذا تخيفها يا ملازم ؟ هذه أول مرة أسمع فيها عسكريا ينصح بالهرب .

يان : ليس فى أمرها هرب . فهى من الشمال . . ويدهشنى أنها بقيت حتى الآن . هى لا تحب الجنوب .

مسز استرونج : يمكنك أن تقول أنها تكرهه ، ولكنها تبقى بدافع الاعتداد بالنفس ، فهى تريد أن تقاوم . الجنوب بالنسبة اليها هو بيت العم توم على نحو ما تمثلت هذه القصة التافهة فى صحون الحلوى عند والديها . وآراؤها لها نفس أهمية آراء البعوضة . لماذا تريد منها أن تفارقنا ؟

يان : لست مصرا على ذلك . بل أعتقد أن خير وسيلة لاغرائها بالبقاء هى نصحها بالسفر .

مسز استرونج : ها ! ها ، أنت تعرفها ، فهى بغلة حقيقية . ولكن لماذا تريد منها أن تبقى اذن ؟

يان : لا يعنيني الأمر ، فلتبق أو فلترحل ؛ ولكن السيد برودبريك يرى ارسالها الى الشمال .

مسز استرونج : ارسالها الى الشمال سهل أن تقوله فحسب ، اذ هي عبء علينا منذ تيتمت ، ليس لها من الأقارب في الشمال سوى عم متعبد لا يكسب عشرين دولارا في الأسبوع . ما رأيك في ريجينا ؟

يان : رأيي ؟

مسز استرونج : نعم . ما رأيك في ابنة أخي ؟ هل تبدو لك جميلة ؟

يان : عيونها جميلة وشعرها . . .

مسز استرونج : آه . لقد توقعت رأيك في الشعر ، فهو مجد الأنثى .

يان : وشعرها أيضا جميل جدا .

مسز استرونج : يا لك من مصور بارع . ها هي تزدان بعيونها وشعرها . ولكن ربما لا يكفي هذا . ما رأيك في الباقي يا ملازم ؟ هيا !

يان : الباقي ...

(يتردد) .

مسز استرونج : الباقى هو الصمت فيما أرى • لاحظ أننى أؤيد رأيك الى حد ما ، ولكنك جائر بشأن منظرها الجميل ، فهو لا بأس به ، ولكن المرء لا يتزوج مرآها الجانبى • على أننى أتساءل ماذا يتزوج المرء وماذا يبعث النشوة فى الرجال حينما يتحدثون عما يسمونه جاذبية الجنس • وعندى أن هذه الجاذبية ليست سوى الشخص الآخر • ولكن زوجى المبجل كان يسكتنى لو سمعنى أقولها • أما بنت أخى فغالبا ما نظرت اليها حتى لم أعد أرى كيف تبدو • واليوم ، لسبب لا أقوله لك ؟ أحاول به أن أراها بعينى رجل • ان الرجل شىء عجيب جدا • هل تسمح بدفع مقعدى ؟ وأنت يا من تفهم النساء ••• رويدا !كم تدفع بى ! • • هل ترغب أن ترسل بى الى السقف ؟ بشىء من الرقة من فضلك !

يان : أستمحيك العفو •

مسز استرونج : هكذا أفضل • أفضل كثيرا • فعلا كم كان بودى أن أقوم بتزويج هذه البنت التى ستبقى هنا بلا شك • سيكون عمرها ثلاثة وعشرين عاما فى رأس السنة • هل تراها قادرة على اثارة الحب •

يان : يحق لكل امرأة أن تأمل فى ..

مسز استرونج : لا تسترسل فى القول ، فقد فهمت . وعلى الرغم من حكمك المتشائم سأحتفظ بالأمل فى وصولنا الى حل لائق . واليوم سيزورنا ماكلور الصغير الذى زارنا فى الشتاء الماضى مع والده . هل كنت هنا ؟

يان : لا ، يا سيدتى .

مسز استرونج : كانوا يريدون بيع مزرعتهم . لسوء الحظ هذه المزرعة سيئة الموقع ، وهواؤها غير صحى . ولذلك رفض أخى شراءها . ومنذ ذلك الوقت مرض ماكلور الأب ، وأخشى أن لن يستطيع الابن اليوم حمل الأعباء ، لأنهم فى حاجة ماسة الى نقود .

يان : لقد أطلعنى السيد برودريك على هذه المسألة .

مسز استرونج : انك لست من هذه البلاد ولذلك لا تعرف ... أوه .. لا أريد الاساءة اليك يا ملازم فيشفسكى .

(تضحك برقة) .

ولكن هذا هو ما يجعلك جذابا لدى النساء .. ما فيك من ملامح الغريب .. هلم ولا تنكر هذا

يا ملازم فيشفسكى فالنساء تهواك • انك تبعث بهن معك الى بولونيا بلاد شوبان فيعتقدن أنهن بائسات وأن لهن أهمية قاض ، وهذا يسرهن لأنهن مخبولات •

يان : سيدتى ••

مسز استرونج : ماذا كنت أروى لك ؟

يان : ماكلور الصغير •

مسز استرونج : بالضبط • ماكلور الصغير وأبوه • ليكن فى علمك أن أسرة ماكلور من أطيب الأسر • فهم يعيشون فى المنطقة منذ قرنين وآباؤهم فى اسكتلندة — كانوا من لصوص المواشى ، وهذه كما تعلم ميزة فى تلك البلاد • آه •• مروحتى وقعت

(يان يلتقطها ويقدمها اليها) •

وقد دعونا ماكلور الصغير لقضاء يومين هنا ، كانت هذه فكرتى • ستة وعشرون عاما ولم ير ريجينا قط • كانت فى فلوريدا عندما حضر مع والده • هل تعتقد فى المعجزات يا ملازم فيشفسكى ؟ أنا أؤمن بها • سوف تعد مهر ابنتنا بسخاء ، وستعطيها مزرعتنا فى تومولتى ، ومائة عبد • الواقع أن تومولتى تقع فى آخر الدنيا وأخاف لو أمضت

فيها ليلة واحدة ، ولكن القطن ينبت فيها بشكل رائع • كن لطيفا مع ماكلور الصغير •

يان : لن يفوتني ذلك •

مسز استرونج : انه من النوع الأخرق الى حد العبط فى بدلة « الرديدنجوت » السوداء وبأفكاره العتيقة عما يجب فعله أو عدم فعله • انه بروتستانتى اسكتلندى حقيقى من جنس كالفين • هل يضايقك هذا ؟ •

يان : لا يضايقنى هذا اطلاقا •

(صمت)

هل هو بارع فى ركوب الخيل ؟

مسز استرونج : لا أدرى شيئا • أسئلتك غريبة • آه ! بلى ! هو كذلك رغم هذا • فحينما رحل فى ذلك اليوم مع أبيه أذكر أنى تابعته بنظرى من الشرفة وهو فى الشارع الكبير ، لقد كان ماكلور الصغير يمتطى جواده فى صورة تبعث على الاعجاب • أما بشأن أفكاره الغريبة نوعا ما ، فلا جدوى من ابلاغه أن ريجينا لا تتردد على الكنيسة • سيمكنه ردها الى الدين فيما بعد • وسيجدان فى ذلك ما يشغلهما خلال الأمسيات القاتلة فى تومولتى •

يان : (بامتعاض) هل تتصورينهما زوجين سلفا ؟

مسز استرونج : نعم أنا حريصة على هذا .

(تدخل انجيلينا من ناحية اليمين) .

أنجيلينا : أين ريجينا يا خالتي ؟ صباح الخير يا ملازم فيشفسكي .

(ينحنى) .

مسز استرونج : لا أعرف أين توجد ريجينا ، ولكني أحب أن تقولي لأخيك أن يأتي يكلمني .

أنجيلينا : حسن ، يا خالتي .

(تخرج من ناحية الشمال) .

مسز استرونج : يمكنك يا ملازم فيشفسكي أن تزود ابن أخي بالنصائح الطيبة . جيمي يحبك كثيرا وسيصغي اليك . فعلمه كيف يرفع قامته وكيف يتكلم كما ينبغي ، وألا يسرق الخيار . وهناك شيء آخر فأنا لا أحب أن يذهب ناحية الزنوج للنزهة . لقد نبه عليه أبوه ألا يتخطى الشارع الكبير ، ولكن لا سلطة له على هذا الولد ، بل ولا سلطة عليه لربيه السيد العجوز هوايت .

يان : قد يعترض علىّ أحدهم بأن تربية جيمى برودبريك ليست من عملى .

مسز استرونج : لن يعترض عليك أحد اذا كنت تعنى أخى . وأعتقد أنك تتصيد الثناء عليك ، لأنك تعرف رأى أخى فيك .

(تتثاءب) .

لا أدرى لماذا أشعر اليوم بالكسل الى هذا الحد . ربما كان ذلك لأن هذا أول نهار من أيام الحر . وكذلك كان قداس بعد ظهر اليوم غير محتمل . فالأب لوك قد ساقنا وراءه فى الجحيم ، أعلاها وأسفلها ، وطولها وعرضها من ثنايا سعير بلاغته ودخانها . وأكاد أكون متأكدة من أننى نعست مرة أو مرتين .

(يدخل ادوارد برودبريك من ناحية اليمين) .

لماذا يبدو عليك الهم يا ادوارد ؟ هل تحب أن يقدم اليك شىء من الشراب ؟

ادوارد برودبريك: لا ، شكرا . صباح الخير يا ملازم . أنا قلق بسبب الأنباء .

مسز استرونج : ولكنها ليست أسوأ مما كانت عليه بالأمس .

ادواردبروديريك: هى أسوأ من حيث أنهم لم يعودوا يعرفون ماذا يراد أولا . فكلما بقيت المسألة واضحة فهناك طريق للخروج منها . ولكن عندما تتعقد الأمور يزداد الخطر حدة .

مسز استرونج : لقد تكلمت مع الأب لوك منذ هنيهة وكان متفائلا .

ادواردبروديريك: ان الأب لوك قديس لا يفقه شيئا من أمور هذه الدنيا . أين ريجينا ؟ أريد التحدث اليها .

(يدخل جيمى) .

جيمى : صباح الخير يا ملازم فيشفسكى . هل أستطيع مرافقتك على ظهر الحصان حتى تومولتى غدا بعد الظهر ؟

يان : اسأل والدك .

ادواردبروديريك: سننظر فى هذا بعد قليل يا جيمى . اذهب الى ريجينا وبلغها أنى أريد الكلام معها توا .

(جيمى يخرج من جهة اليسار) .

مسز استرونج : أرجو ألا تخيف البنية .

ادواردبروديريك: سأقول لها أن ترحل من هنا قبل فوات الوقت .

مسز استرونج : أأنت مجنون ؟ من يصغى اليك يتصور أنهم قد غزوا الجنوب آنفا . لا أحد يرغب فى الحرب

ســـــواء فى ذلك الرئيس لينكـــولن أو ولايات الجنوب . فماذا اذن ؟

(ادوارد بروديريك يخـرج صحيفة من جيبه ويمدها اليها) .

وماذا فى ذلك ؟ ترفض حكومـة الشمال سـحب قواتها من الكارولين الجنوبية وتريد على العكس اعادة تموينها . هذه بعض ملامح الصلف المعتادة فى واشـنطن . هؤلاء الناس يركعـون اذا أطلقت رصاصة واحدة . ولكننا لن نعدم واحدا من عندنا يكبت صياح هؤلاء الدجاج .

ادواردبروديريك: لمـاذا لم تحضر ريجينا ؟

مسز استرونج : أتوسـل اليك أن تفكر فيما ستقوله لها . فحتى لو قامت الحـرب لكان مكان هـذه الفتاة هنـا . أيمكن أن تتصور فقط أنها ستكون بيننا فى خطر ؟ وعبثا ما تفعل ، لأنها من دماء جنوبية . واذا كانت قـد كبرت فى الشمـال فسوف تتقبـل آراءنا . وسأتكفل أنا بذلك .

ادواردبروديريك: انك لن تغـيرى شـيئا منها . لقـد فات الأوان . عمرها الآن اثنان وعشرون سـنة . والشىء الذى تخفيه علينا أنها تريد الرحيل .

مسز استرونج : لو كانت ترغب فى الرحيل لأصبحت الآن بعيدة عنـــا •

ادواردبروديريك: لم ترحـل لاعتقـادها أن ذلك مستحيل • ولكن ما كان مستحيلا بالأمس أصبح ممكنا • وريجينا شـــديدة البؤس هنـا فى المزرعـة • فأفـكارنا وأسلوبنا فى الحياة • كل هذا يصدمها ويسوءها • وهى تعيش بفكرها هنـاك فى الشمال • أريد أن ترحـل •

مسز استرونج : وأين تذهب ؟

ادواردبروديريك: الى بوسطن عند عمها •

مسز استرونج : هذا العجوز المعتوه ؟ هو مفرط فى مناجاته للذات الأبدية أنه لن يمكنه العناية بأمر ريجينا ، وهو قبل كل شىء لا يملك مليما •

ادواردبروديريك: أنت مخطئة بهذا الشأن لأنى أرسلت اليه خطابا منذ شهر فى أصعب الأزمنة • وجاءنى رده أول أمس • وتم الاتفـاق على كل شىء عن طـريق عقد مع أحد البنوك • وتستطيع ريجينا أن ترحل ابتداء من بعد غد • وسأصحبها بنفسى حتى السكة الحديدية وسـنخطر أخى تلغرافيا وسـيكون فى انتظارها مساء الأربعاء •

مسز استرونج : هذا عجيب • كيف لا تخطرنى بقرارك ؟

ادواردبروديريك: كان لا فائدة من ازعاجك • ولكن أين هى اذن ؟

يان : ها هى ذى قادمة •

(يدخل جيمى وريجينا من ناحيـــة الشمال) •

جيمى : (بصـــوت منخفض الى مسز استرونج) خالتى افيلين • أطلبى من بابا الاذن بخروجى غـدا مع الملازم فيشفسكى •

ادواردبروديريك: دعنا وحدنا يا جيمى •

(جيمى يخرج من ناحية اليمين) :

يان : هل تحب أن أنسحب ؟

ادواردبروديريك: لمـــاذا ؟ انك كابنى تمـاما ، ولم يكن لدى قـط ما أخفيه عنك • اجلسى يا ريجينا فلدى ما أقوله لك • ولكننى سأسألك أولا سؤالا وأجيبنى عليه بغير تردد أو خـوف من أن تصـدمى مشاعرنا • انك تسكنين بونافانتور منذ سنة فهل أنت سـعيدة فيهـــا ؟

ريجينـــا : سـعيدة ؟ كلا •

ادواردبروديريك: لمـاذا ؟

ريجينا : لسبب بسيط وهو أنني لا أحب الجنوب .

ادواردبروديريك: عندما تقولين أنك لا تحبين الجنوب فأنت لا تعنين الطقس وما ترينه من حولك . بل تعنين الجنوب بمعناه الواسع ، والذى لا تحبينه فيه انما هي أفكارنا .

ريجينا : نعم ، خصوصا أفكاركم فأنا لا أفكر مثلكم ولا أشعر أننى من هنا .

ادواردبروديريك: اذا انفجر النزاع بين الشمال والجنوب فهل ستكونين مع الشمال بمشاعرك ؟

ريجينا : نعم . طبعا مع الشمال .

مسز استرونج : ادوارد أجد هذا الاستجواب مؤلما لنا جميعا .

ريجينا : لا يؤلمنى ذلك اطلاقا يا خالتى .

ادواردبروديريك: اذا كان المرء مع الشمال يا ريجينا فمعنى ذلك أنه يتمنى النصر لجيوش الشمال على جيوش الجنوب ؟

ريجينا : حاشا لله أن تصل بنا الأمور الى هذا الحد . أما اذا وقعت الحرب فانني سوف أتمنى طبعا انتصار الشمال .

ادواردبروديريك: فى هذه الحال لعلك ترين من العقل أن أعاونك على العودة الى الشمال ؟

ريجينا : (بتردد لطيف) نعم أرى أن هذا قد يكون المعقول .

ادواردبروديريك: لقد فكرت من قبل بلا شك فى هذا الاحتمال ؟

ريجينا : نعم .

ادواردبروديريك: أنت حرة يا ابنتى . يمكنك البقاء اذا أردت البقاء واذ اكنت تريدين الرحيل فانني متكفل بسفرك الى الشمال قبل انتهاء الأسبوع .

ريجينا : سأكون شاكرة لك .

مسز استرونج : انك ناكرة للجميل يا ريجينا .

ريجينا : لا يا خالتى ، لا أنسى ما أنا مدينة لكم به . وبرغم ذلك كله أود الرحيل . لقد كنت أنت والعم ادوارد دائما طيبين فى معاملتى . ولكن السؤال قد وجه الى بطريقة مباشرة الى أبعد حد ، وهأنذا أجيب عليه بنفس الطريقة . أود الرحيل .

يان : (بغضب) ستكونين نادمة اذا لم تقم الحرب يا آنسة ريجينا .

يان : (بدون أن تنظر اليه) لست راحلة بسبب الحرب يا ملازم فيشفسكي .

ريجينا : سيأويك عمك فى بيته . هو ليس بغنى ، ولكنى قد رتبت الأمور بحيث لا ينقصك شيء الا أن تتزوجى .

يان : فكرى يا آنسة .

(ريجينا تنظر اليه باستغراب) .

ادوارد بروديريك: ريجينا حرة فى أن تفكر الى الغد اذا شاءت . وهى تعلم أننا جميعا متعلقون بها ، ولذلك فى امكانها العدول عن قرارها ولكننى لا أود أن تبقى فى بونافنتور اذا كانت بائسة ببقائها .

يان : ألم تقولى منذ أقل من ساعة أنك سوف تبقين هنا يا آنسة ؟

ريجينا : غيرت رأيى . ويبدو لى كذلك أنك كنت تنصحنى بالرحيل منذ أقل من ساعة أيضا يا ملازم فيشفسكى .

يان : كنت أريد أن أختبر تصميمك فيما اتخذت آنذاك من قرار أن تبقى ، وأن تبقى ، وأن تبقى أيضا .

ادوارد بروديريك: ماذا عساى أعتقد يا ريجينا ؟

ريجينا : أعتقد ما أقوله لك الآن يا عمى . أريد السفر ومغادرة هذا البيت وهذا البلد الى الأبد .

ادوارد برودريك: أهذا بسبب الأنباء السيئة ؟

ريجينا : لا . لست مثلك فى ثقتك بقيام الحرب ، ولكننى كنت أفكر فى غرفتى منذ هنيهة . وفهمت بعض أشياء من الجائز أننى لم أفهمها حتى ذلك الحين.

(صمت) .

ادوارد برودريك: (برقة) اننى معتقد على الرغم من كل شىء أنك محتفظة بردك حتى الغد . فاذا قررت آنذاك الرحيل سأصحبك الى شارليستون فى العربة . وستكون لدينا فسحة من الوقت لزيارة المدينة فهى جميلة جدا . بعد ذلك سأرافقك الى السكة الحديد . آمل فيك ألا تخافى من السفر فى السكة الحديد .

ريجينا : (وهى تضحك) أوه ـ كلا ، يا عمى . لقد ركبت السكة الحديد لآتى الى هنا ولم يكن عندى أدنى خوف بعد عشر الدقائق الأولى . ففى عاقبة الأمر ما أيسر ما يتعود المرء .

ادواردبروديريك: هناك شيء آخر أريد أن أقوله لك • ستسمعين الناس يسبوننا فى الشمال • فالفكرة التى يكونونها عن مزارع الجنوب هناك هى فكرة وهمية عجيبة• هل رأيت قط عبدا يضرب فى بونافانتور ؟

ريجينا : فى بونافانتور • لا •

ادواردبروديريك: أنا لا أتكلم عن السوط الذى تكفى فكرته لبعث الفزع • لقد حرمت تحريما قاطعا ضرب أى أسود بأى شكل من الأشكال • هل تعرفين هذا ؟

ريجينا : نعم ؟

ادواردبروديريك: هل فصل أحد هنا رقيقا عن زوجته أو أما عن أطفالها ؟

ريجينا : فيما أعلم يا عمى : لا •

ادواردبروديريك: أليس صحيحا أننى وهبت الحرية فى عيد الميلاد الى ثمانية وعشرين رقيقا عاد منهم خمسة وعشرون لأنهم لم يعرفوا الى أين يذهبون •

ريجينا : هذا دليل على أنك انسان فى حدود ما يفرضه عليك العرف فى الجنوب • ولكن العبيد الثلاثة الذين لم يعودوا هم دليل عليك لا لك وأنا معهم• فأنا لا أعترف لك بحق امتلاك عبد واحد •

مسز استرونج : يا لك من وقحة ـ أتقرئين الانجيل كل يوم ولا تعلمين أن البطارقة كانوا يملكون عبيدا ؟

ادواردبروديريك: لنترك نقاش هذه المسألة • لست فى حاجة الى أن أقول لك يا ريجينا ان فى الجنوب حركة نحو تحرير العبيد كحركة تحرير الأرقاء فى روسيا • لن يكون هناك عبد واحد في كل أمريكا الشمالية قبل سنة ١٨٨٠ ولكن أعلمى يا بنيتى أننا لن نعمل بمقتضى ما يمليه علينا الشمال •

مسز استرونج : ومن الذى أدخل الرق ببلادنا يا ريجينا ؟ الشمال • والآن ما يسمونه فى استحياء نظامنا الخاص ، يعنون الرق ، ليس الا ذريعة خطابية عند مبطلى الرق • ويعلم كل الناس أن الشمال غيور من ثراء الجنوب وأنه يطمع فى خرابنا •

ادواردبروديريك: لندع هذا يا أختى . أود اقناع ريجينا بأن الأزمة التى تمر بها ترجع فى الأصل الى رغبة حكومات الجنوب أن تحكم نفسها كما تفهم من معنى الحكم • وهذا ما يسمح لهم به الدستور • وقد عمل الدستور حساب الانفصال • ومعنى هذا أننا نملك حق الانفصال من الاتحاد اذا بدا لنا أنه فى صالحنا •

ريجينا : ما كانت الأزمة لتظهر ما لم يكن هناك رق .

مسز استرونج : يا صغيرتى العنيدة ، من سيشتغل فى حقول القطن اذا لم تضعى فيها السود ؟ ليس للأبيض القدرة على هذا العمل . هل عرفت ما حدث لأسرة ماكلور ؟ كانت لديهم نظريات مثل نظرياتك على الرغم من أنهم أنفسهم من الجنوب . كانت لديهم أفكار جديدة . ولم يكن التحرير التدريجى كافيا فى نظرهم . لذلك قاموا مرة واحدة سنة ١٨٥٨ باطلاق عبيدهم حتى آخرهم . وأعتقدوا أولا أنهم سوف يجدون من البيض من يحل محلهم فى زراعة القطن . ولكن الناس سخروا منهم خفية . بعد ذلك بحثوا عن السود وعرضوا عليهم الأتعاب بسذاجة ولكن السود الذين تحرروا هربوا الى الشمال . واليوم لقد تحطمت هذه الأسرة التى كانت من أبرز الأسر فى الجنوب . لقد أفلست الى حد لا يمكنك تصوره . فالمطر يتسرب الى غرفة طعامهم . واكتسحت الأعشاب مزارعهم .

ريجينا : لقد حرروا عبيدهم ...

مسز استرونج : ها هى ذى منتشية بمثالية رخيصة .

(تقلدها) .

« لقد حرروا عبيدهم » ... من الواضح أنك لم تملكيهم قط • لو عرفت مقدار الرغبة فى اطلاق سراحهم جميعا هؤلاء العبيد ـ النساء حاملات جماعات والرجال بمنازعاتهم ، والزنوج الصغار دائما مرضى وهم الذين يجب السهر عليهم ، لأن أمهاتهم غير قادرات على هذا ... ومن يعلمهم القراءة ومن يعلمهم العبادات ؟ أنا يا ابنتى •• من السهل جدا تحريرهم • ولكنهم يعودون •

ريجينا : لا يعودون جميعا • فوفقا لما قاله عمى بعضهم يهرب نحو الشمال ، نحو الحرية •

مسز استرونج : الحرية • انك تضحكيننى • حرية الشمال • ان الشمال يحتقرهم • آه ـ فلنأخذهم جميعا ولنرسلهم جميعا الى أفريقية حيث كان عليهم البقاء • أو فلنقدمهم كلهم هدية الى فضلاء الأوربيين الذين يشفقون على مصيرهم والى نابليون الثالث وفيكتوريا • منذ ثلاثين عاما يقول الناس أنهم سيثورون علينا ويذبحوننا جميعا • وأعتقد أنهم غير قادرين على هذا فهم كالأطفال تماما •

ادوارد بروديريك: أطفال • نعم • فهم أطفال ضائعون وضعتهم العناية الالهية بين أيدينا •

مسز استرونج : أوه يا ادوارد انك تستثيرني بكلامك عن العناية الالهية • سل أبناء تجار العبيد فى أوربا عما اذا كانت العناية الالهية هى التى باعت الى مهاجرى الشمال أبناء عبيدنا السود • لا يا صديقى ، فالتاريخ ليس بهذه البساطة ولا يمكن أن نجعل الله مسئولا عن كل شيء • والا يصبح الأمر سهلا أكثر من اللازم فضلا عن أنه لا يبلغنا شيئا.

ريجينا : اذا سمحت يا عمي دعني أنسحب •

ادوارد برودريك: كما تشائين يا ابنتى •

(تخرج ريجينا من ناحية الشمال ـ الى مسز استرونج) •

لقد جعلت هذه الصغيرة فى وضع مشين •

مسز استرونج : أنا جعلتها فى وضع مشين ، أنا ؟

ادوارد برودريك: نعم • فأنا أعرفها • ذلك أنك تحدثت عن صمت الله • فهى تعتقد ، وأنا أعتقد ، مثلها أن الله يتحدث الى كل منا • فهى ذات نظرات دينية ينبغى أن نحترمها •

مسز استرونج : قد تجاوزت قليلا حدود القصد • فالآنسة لا تعنى بمصاحبتنا الى الكنيسة ، ولكن لها نظرات دينية • واذا صدمناها ، تنسحب ، كملكة مغضبة • يا لها

من شريرة صغيرة لو عاشت فى أيام شبابى لجلدوها • نعم •

(ادوارد برودريك يبتعد نحو اليمين)

يان : (بصوت منخفض) وهذه الطريقة كان لها بعض الفائدة •

مسز استرونج : أليس كذلك ؟ اننى متأكدة من أن فى بلادكم بولونيا •••

يان : نعم •

مسز استرونج : عندما كنت صغيرة كان هناك دائما عصا من غصن شجرة فى حجرة والدتى • أؤكد لك أن الخدم كانوا يطيعون بلا استعطاف • كان ذلك عصرا قديما طيبا •

يان : هل لا زلت تتصورين الآنسة ريجينا مستقرة فى تومولتى مع عبيدها المائة وزوجها داعية تحرير الأرقاء ؟

مسز استرونج : سوف ترى أيها الشاب أنها ستتزوجه وأنهم سيحتفظون بعبيدهم • فعندما يمر المرء بتجربة الفقر •••

يان : ولكن اذا رحلت ؟

هنز استرونج : انها لن ترحل عندما ترى ماكلور الصغير .

يان : قلت لى انك تؤمنين بالمعجزات . اننى متشوق الى رؤية هذه المعجزة .

(يعود ادوارد بروديريك الى وسط المسرح.) .

هنز استرونج : ماذا بك يا ادوارد اذن ؟ ألست مريضا ؟

ادواردبروديريك: كلا ! كلا ؟ لقد آلمتنى هذه المحادثة مع ريجينا . وأعترف بهذا فقد أحسست باقتناعها العميق ... يا ملازم ماذا ترى فى هذه المسائل الحامية التى تفصل الشمال عن الجنوب ؟

يان : سيدى ، لا رأى لى أقوله بشأن مسألة لا ألم بها الماما كافيا . الواقع أن السياسة تستهوينا نحن العسكريين أقل من استهوائها للمدنيين . نحن فى انتظار أن تسفر الخطب عن الحرب ، كما يحدث فى العادة . ومهمتنا هى حينئذ ضرب العدو .

هنز استرونج : لا أحب أن تقول ذلك بصوت شديد البرود شديد الهدوء . يغلب على الظن أن المعارك الأولى قد وقعت فعلا .

يان : لو حدث هذا ما بقيت هنا .

مسز استرونج : يا الهى . أتمنى أن أكبر ثلاثة أشهر فى العمر . فبعد ثلاثة أشهر سنعرف ، وسيحل الاشكال بطريقة أو بأخرى ، حتى لو وقعت الحرب . آه ـ ها أنذا أتكلم عن الحرب أيضا . ولكن لن تقع الحرب .

(تتململ فى كرسيها) .

أشعر بالحر . أحس أن نهاية هذا النهار ستكون نهاية صعبة . ملازم فيشفسكى ساعدنى على النهوض . لا هواء هنا . سأنتظر مدعوينا فى الشرفة .

(فيشفسكى يساعدها على النهوض وتخرج من جهة اليمين) .

* * *

المنظر الثـــالث

ادواردبروديريك: لا أخفى عليك يا ملازم أنى مضطرب •

يان : لا بد من الاحتفاظ بالوعى كاملا فى مثـل هـذه اللحظات •

ادواردبروديريك: أتساءل كيف تستطيع أن تحتفظ بهدوئك هذا •

يان : هذا جزء من مهنتنا •

ادواردبروديريك: أعلم هذا • فى ميدان المعركة لا ينبغى أن يطلق الجندى رصاصـته الا عنـدما يرى بيـاض عينى عـدوه • ولـكننى لست جنـديا ومن الصعب أن أتحكم فى نفسى وأن أنتظر • فالانتظار رهيب •

(صمت) •

أنا سـعيد جدا بوجودك معنـا • نعم ان وجودك يعطينا جميعا شـيئا ما على الرغم ••• هل لى أن أقول هـذا ؟

(فيشفسكى يقوم بحركة) •

على الرغم من هـذا الزى الرسـمى • أوه •• أفهمنى جيـدا •• من الطبيعى جـدا أن تظـل

تلبسه . فنحن لسنا فى حرب . انت ضابط فى جيش الولايات المتحدة ، ويكفى أن يطلق النار بعض المتحمسين حتى يتحول هـذا الزى الى ...

يان : زى العـدو ؟

ادواردبروديريك: سـامحنى . فلسانى مشـدوه من الـكلمات التى ينطق بها . وليس من شىء أصدق مما يبدو منذ خمسة عشر يوما . اننى متأكد من أنك لنا ومعنا. هل شككت يوما فى هذا ؟

يان : ليس أكثر مما لو شـككت فى ولدى . ولـكن القلق . . أنت لا تدرى القلق أى شىء هو .

ادواردبروديريك: لا .

هناك لحظات لا أرى فيها بوضوح . أتمنى أن يكون لى ايمـان ريجينـا . نعم ، انهـا تعبر عن أشياء تجعلنى أضطرب ، بل وأغتاظ أحيانا . فأشعر أنها ذات ايمان . هى ذات عقيدة ، وتعتمد على شخص أو على شىء لا يرى . أما أنا فيـبدو لى أنى أتظاهر ـ وهذا ما يجب أن يكون الى حد ما ؛ كمـا تدرك ، أنا لست على يقـين ، أما هى قموقنة .

(صمت) .

أنا سعيد لوجودك معنا • وأود أن تعدّ هذا البيت كبيتك تماما •

(فيشفسكى ينحنى • صمت يطول قليلا) •

يان : لدىّ أوامر أريد ابلاغها للجندى المرافق فهل تسمح لى بالانصراف ؟

ادوارد برودیریك: (بحزن) افعل ما يحلو لك •

(يخرج يان) •

أما عنى فأنا لا أطيق البقاء فى هذه الحجرة التى أختنق فيها •

(يتجه نحو أقصى الواجهة) •

ينتهى الأمر بأن يبغض المرء الجدران التى تشهد شقاءه •

(يجتاز عتبة الباب الكبير فى أقصى الواجهة ويقف فى وسط الأعمدة) •

يا الهى • لو كان وجودك ممكنا لحظة •• اذن ما أشد ما يكون توجهى اليك !

(فى هذه اللحظة يظهر من جهة الشمال جيمى • ويلتفت نحو شخص لا يرى • ادوارد برودیریك يبتعد قليلا بين الأعمدة)

المنظـــر الرابع

جيمى : ادخل .

(يدق برجله) .

ادخل ما دمت أقول لك هذا . هل لك أن تقدم ؟ أنت !

(يمد ذراعه ويمسك بيده زنجيا صغيرا يقود زنجيا موغلا فى الشيخوخة ، أعمى ، ويلبس « الردنجوت » السوداء) .

الزنجى : (يستعصى قليلا) أنا خائف . فهذا ممنوع .

جيمى : ليس هذا ممنوعا ما دمت أسمح لك بذلك . على أن العم جون من حقه أن يدخل هنا دائما . بابا قال ذلك .

العم جون : (للزنجى الصغير) أين نحن يا صغير ؟

جيمى : فى « الصالون » الكبير .

العم جون : هل من انسان هنا ؟ اذا كان ثمة انسان فسأمضى من هنـا .

جيمى : لا أحد . سـأذهب لأنادى والدى يا عم جـون ولكن على أن تعدنى بأن تطلب اليه ما قلته لك ؟

العم جون : أعدك بأن أكلمه فى هذا الشأن يا سيد جيمى •

(يخرج جيمى من ناحية اليمين • يبقى العجوز والزنجى الصغير واقفين وسط «الصالون» دون حراك ويد أحدهما فى يد الآخر) •

يا صغير ! انظر جيدا إلى هذا « الصالون » الذى نحن فيه • اذ قد لا ترى سوى « صالون » واحد فى حياتك كلها •

الزنجى الصغير : ما معنى « الصالون » يا جدى ؟

العم جون : هو الحجرة التى يجتمع فيها البيض ليكلم بعضهم بعضا •

الزنجى الصغير : ألا يستطيعون الكلام فى الخارج ؟؟

العم جون : فى الخارج ، الجو فى حرارته أشد من أن يتحمله البيض ، والشمس أغزر عليهم اشعاعا ، أو قد يكون الجو مسرفا فى برودته عليهم ، واذن يجتمعون بهذا المكان • ينبغى أن يكون البيض فى أحسن حال أينما حلّوا •

الزنجى الصغير : لماذا ؟

العم جون : لأن الأمر كذلك ، ولأن الله أعطاهم جلودا بيضاء •

الزنجى الصغير : ولماذا لم يعطنى الله أنا أيضا جلدا ذا لون أبيض • أخبرنى يا جدى •

العم جون : سيعطيك الله أكثر من هذا فى الجنة يا حملى الصغير •

الزنجى الصغير : نفس الشىء كالبيض ؟

العم جون : (بعد تردد) نعم • فيما أحسب •

الزنجى الصغير : يا جدى ، هل أستطيع أن أمد أصبعى وأن ألمس المقعد الهزاز ؟

العم جون : لا .. لا ينبغى أن تلمس شيئا ، أى شىء ، عند البيض •

(ادوارد برودبريك يدخل من ناحية اليمين) •

ادوارد برودبريك: صباح الخير يا عم جون • آمل ألا يكون حضورك لأمر خطير •

العم جون : يا سيد ادوارد • • • هل نحن بمفردنا فى هذه الحجرة ؟

ادوارد برودبريك: نعم • لا يوجد سوى حفيدك • •

العم جون : (متحدثا الى الزنجى الصغير) يا ولد • اذهب ، انتظرنى فى الشارع وكن عاقلا •

(يخرج الزنجي الصغير من ناحية الشمال)

ادواردبروديريك: تفضل اجلس يا عم جون .

(يأخـــذه من يده ويقوده حتى المقعـــد الطويل ، ويبقى هو واقفا) .

العم جون : أخشى ازعاجك يا سيد ادوارد . فبعد الظهر من يوم الأحد موعد استقبال الزائرين ...

ادواردبروديريك: لن يحضر المدعوون قبل ربع الساعة على الأقل . ثم انني متأكد من أنك ما كنت تحضر لو لم يكن لديك شيء خاص تريد ابلاغه لي .

العم جون : واذا لم يكن لدىّ شيء خاص أبلغه لك يا سيد ادوارد ؟

ادواردبروديريك: لست أفهم ما تعني .

العم جون : أتيت اليك بدافع من الهام جاءني وأنا أستمع الى أطفالي الصغار يرتلون بعض المزامير منذ قليل . ليست اللحظة مواتية . فاليوم الأحد وكل هؤلاء المدعوين على وشك الحضور . ولـكن لست أنا الذي تخيرت هذه اللحظة ولم أكن أعرف ما سوف أقصه عليك . ومع ذلك فقد أطعت هذا الالهام .

ادواردبروديريك: تقول أطعت ؟

العم جون : ألم يقل الرب : تنفث الروح بنفحاتها حيث تشاء؟ لقد نهضت ولبست حلة الردنجوت وحضرت اليك .

ادواردبروديريك: هل تسمع أحيانا صوت الرب يا عم جون ؟

العم جون : نعم فى بعض الأحيان .

ادواردبروديريك: ولكن قد تكون فكرتك هى التى تحسبها صوت الرب ؟

العم جون : لا . فصوته له نبرة مخالفة . والضوضاء التى تثيرها الأفكار فى الرأس لا تختلط أبدا بصوت الرب . فصوت الرب لا يختلط بشىء أبدا فى العالم ويمكن دائما التعرف عليه . هل تذكر النبى الياس ؟ لقد احتمى الياس بجبل حريب ، وثارت عاصفة رهيبة أمام الله الأبدى فحطمت الصخور قطعا صغيرة أمام الله الأبدى . ولكن الرب لم يكن فى الرياح . وبعد الرياح حدث زلزال . ولكن الرب لم يكن فى الزلزال . وبعد الزلزال هب حريق ولكن الرب لم يكن فى الحريق . وبعد الحريق ارتفع صوت قصير مكبوت . عندئذ غطى النبى نفسه بمعطفه .

(صمت) .

ادواردبروديريك: لماذا تروى لى ذلك يا عم جون ؟

العم جون : أخاف على هذا البيت .

(صمت) .

ولعل هذا هو ما أردت قوله لك .

ادواردبروديريك: (يجلس) هل تتكلم هكذا بسبب اشاعات الحرب؟

العم جون : لا .

ادواردبروديريك: اذا كنت تفكر فى أن السود سيقومون بثورة فأنا لا أعتقد ذلك اطلاقا .

العم جون : مهما حدث فلن يتمرد الزنوج أبدا .

ادواردبروديريك: هل جئت تطلب تحرير أحد العبيد ؟

العم جون : تحرير واحد من العبيد ليس كافيا . لا بد من تحريرهم جميعا .

ادواردبروديريك: انك تقول كما يحلو لك بهذا الشأن . ولكنك تريد خرابى .

العم جون : اذا سمحت لى يا سيد ادوارد فاننى أفضل لك الخراب على الضياع .

ادواردبروديريك: (ينهض) لقد سبق أن استمعت الى مواعظ

القداس ، يا عم جون ، وهذا يكفى ، حتى لو كنا فى يوم أحد واحد . سأعتق عبيدى شيئا فشيئا .

العم جون : الله أسرع منا أحيانا . عفوا أن أكلمك هكذا . لقد كنت طيبا جدا معى . لقد أعتقتنى منذ أكثر من عشرين عاما وأعطيتنى بيتا صغيرا وحقلا على حافة الطريق . لقد بقينا فى المزرعة بسبب حبنا لك . وبسبب حبنا لك أيضا نهضت هذا الصباح عند سماع الأطفال وحضرت اليك .

(بصوت موحد وبدون أى تكلف) .

ولكن الله سيمر من بيننا وأنت تعرف معنى ذلك . فى هذا المكان نفسه وفى هذا البيت سيمر الله ...

ادواردبروديريك: ماذا تقول ؟ الله سيمر ؟

العم جون : ماذا يوجد خلفى يا سيد ادوارد ؟

ادواردبروديريك: خلفك ؟ الشباك الكبير المطل على المزرعة .

العم جون : وعلى يمينى وعلى شمالى ؟

ادواردبروديريك: على شمالك باب يؤدى الى الشرفة وعلى يمينك الباب الذى دخلت منه .

العم جون : اذن سينجز الله غضبته بين هذا الشباك وهذين البابين .

ادواردبروديريك: ولماذا سوف يصيبني .. أنا ؟ ماذا ارتكبت ؟

العم جون : لن يصيبك لو لم ترتكب أمرا . فالله محبة يا سيد ادوارد .

ادواردبروديريك: اذا كان محبة فلماذا ينتقم ، حتى لو كان الانتقام من الشريرين ؟

العم جون : (برقة) لعل ذلك لأن الشريرين يستثيرون غضب الحب .

ادواردبروديريك: كيف ذلك ؟

العم جون : (بنفس طابع الصوت) بسبب الحاجة الى الحب. فلا شريعة حيث لا حب . ولكن ليس لنا أن نسخر من قدرة الله . هكذا يقول الكتاب . فعبثا ما ترتل الأناشيد ، وتصيح باسم الله مبتهجا ؟ فاذا لم تحب جارك كما تحب نفسك ، بل وأكثر من نفسك ، فأنت ضائع .

(ينهض) .

أعطني يدك من فضلك وقدني الى الباب .

(يتجه الاثنان نحو الشمال) .

عندي شيء أريد أن أقوله بشأن ابنك الصغير .
لقد أراد الخروج للنزهة غدا مع الملازم الأجنبي .

ادوارد بروديريك: أعرف هذا • مع الملازم فيشفسكى • ولكنه ليس أجنبيا •

العم جون : ليس هو من بلادنا يا سيد ادوارد •

ادوارد بروديريك: أوه • أتى من أوربا ، لكنه أصبح أمريكيا تماما•

العم جون : (متوقفا) هل تحبه كثيرا ؟

ادوارد بروديريك: نعم • كثيرا •

العم جون : لو كنت مكانك لما تركت جيمى يخرج مع الملازم الأجنبى •

ادوارد بروديريك: لماذا ؟

العم جون : عندما حدثنى جيمى منذ قليل خطر لى أنه لاينبغى أن يخرج فى صحبة الملازم الأجنبى •

ادوارد بروديريك: هل حدثوك بالسوء عن الملازم فيشفسكى ؟

العم جون : كلا !

ادوارد بروديريك: هل تكلم معك مرة ؟

العم جون : لا ؛ ولكنى كنت فى الشارع الكبير عندما سمعته يتحدث الى سيدة • لا أعرف ما الذى كان يقوله، ولكنى أصغيت الى صوته • الصوت بالنسبة الينا نحن العميان يكاد يكون كل شىء • ما يلقنكم

النظر من أمر يمكننا استنتاجه من الصوت • لقد استمعت الى صوت الملازم الأجنبى •

ادواردبروديريك: وماذا فى الأمر ؟

العم جون : لا أحب صوته يا سيد ادوارد • فهو صوت قاس •

ادواردبروديريك: تقول أنه كان يخاطب امرأة ؟

العم جون : نعم •

ادواردبروديريك: (بعد تردد) هل تعرف من كانت تلك المرأة ؟

(يرتفع صوت خطوات وينحنى العم جون قليلا الى الامام فى هيئـــه من ينصت الى شىء ، تدخل ريجينا من ناحية الشمال) •

العم جون : ها هى ذى •

ادواردبروديريك: هل تريدين شيئا يا بنيتى ؟

ريجينـا : لا ، كنت أبحث عن أنجيلينا •

ادواردبروديريك: اذا شئت يا عم جون سأرشدك الى الطريق •

(يخرجان) •

* * *

المنظـــر الخامس

(ريجينا تظل وحدها وتنظر حولهـــا . وترى على قطعة أثاث عصا الملازم فيشفسكى التى نسيها فتمسكها وتفحصها لحظة ، ثم تلقيها على البساط . أنجيلينا تدخـل من ناحية اليسار) .

ريجينـــا : كنت أبحث عنك يا أنجيلينا فلدىّ ما أقوله لك .

انجيلينـــا : أنا أيضا ولكنى أخشى أن يصل المدعوون .

ريجينـــا : أوه ؟ لا يزال أمامنـــا نصف ساعـــة لانتظارهم . هلمى نحتل هذا الركن .

(تذهبان معا للجلوس الى الشـــمال ، ظهراهما الى الباب ناحية اليمين) .

أنجيلينا أنت هنا الشخص الوحيد الذى أثق فيه ثقة مطلقة . منذ قليل وصلت الى قـرار . فقـد عرض على أبوك مغـادرة بونافتـور لأعـود الى الشمال وقبلت .

أنجيلينـــا : قبلت ! ولكن لمـاذا ؟

ريجينـــا : لا أدرى حقا . قلت نعـم . وأعطانى والدك مهلة للتفكير ، ولكن بما أننى قبلت فقـد أصبح من

الصعب بالنسبة الى أن أرجع فى قرارى ، خصوصا أمام رجلين .

أنجيلينا : رجلين ؟

ريجينا : نعم فقد كان الملازم فيشفسكى حاضرا . فهو دائما موجود . على أنى كنت على حق فى القبول . وقبل ذلك بقليل قد بكيت فى حجرتى .

(ايماءة من أنجيلينا) .

لا . أرجوك . لا توجهى الى أسئلة .

أنجيلينا : هذا مستحيل يا ريجينا . لن ترحلى .

ريجينا : بلى ، فهذا أفضل . أنت لا تعرفين أية حال تلك أن يكون المرء فقيرا بين أغنياء فعبثا ما يحسبون أنفسهم ذوى مشاعر مرهفة ، فهم يسيئون اليك من الصباح حتى المساء ويثقلون عليك بعبء كرمهم . ثم أنت تعلمين أننى لست من الجنوب على الاطلاق كما أننى لست فى صف الجنوب ، ولن أشعر أبدا بأنى هنا فى بيتى . فاياك والدموع ! وقد فكرت فيك يا أنجيلينا ، سوف نلتقى .

أنجيلينا : ولكن اذا قامت الحرب ؟

ريجينا : فحينئذ سنلتقى بعد الحرب .

أنجيلينا : ولكن ستكرهيننى .

ريجينا : أ أنت مجنونة ؟

(تدللها بجس شعر رأسها) .

أنت وحدك صديقتى بالمزرعة . لست سوى أجنبية لدى الآخرين جميعا . وغدا لو بقيت وشبّت الحرب فسأصبح جاسوسة . ما من أحد يحبنى هنا سواك .

أنجيلينا : أنت مخطئة فأبى . . .

ريجينا : أوه ! هو يحبنى بحكم الواجب ، وبحكم هذه العاطفة الباردة المسماة بالمحبة المسيحية ، وفضلا عن ذلك فانه فى امكانى أن أقول لك شيئا آخر ما دمت أنوى الرحيل . يوجد شخص يمقتنى هنا .

أنجيلينا : ولكن من هو ذلك ؟

ريجينا : الملازم فيشفسكى .

أنجيلينا : يا لها من فكرة عجيبة . وديع كل الوداعة ومؤدب كل الأدب ـ هو جدّ وديع وجد مؤدب .

ريجينا : أنت لا تعرفينه . فابتسامته تبعثنى على الجمود . ولا أراه ينحنى أمامى الا وأفكر فى أنه يحتقرنى

فى قرارة نفسه • الرجال عندنا فى الشمال أكثر شراسة ، ولكن يمكن الثقة بهم على حين لن أستطيع قط أن أثق بالملازم فيشفسكى • لقد كان من المستحيل على أن أفهم مبلغ نفوذه لدى والدك•

أنجيلينا : من المبالغة أن تسمى ذلك نفوذا •

ريجينا : اذن هى الصداقة التى يحملها له أبوك •

أنجيلينا : الأمر بسيط • فجد الملازم فيشفسكى كان يملك ثروة كبيرة استطاع احضارها معه من بولونيا • وفى سنة ١٨٥٣ أو ١٨٥٤ أفلس أبى بسبب بعض الصفات الفاشلة • فتوجه الى الكونت فيشفسكى الذى كان يعرفه بعض المعرفة فأعطاه سلفة أنقذتنا تماما • ومات الكونت منذ خمس سنوات ولكن حفيده هنا كما لو كان فى بيته تماما •

ريجينا : ولكن هذا لا يفسر الشغف به الى هذا الحد ، لأن أباك ليس الوحيد الذى يعده فى منتهى الكمال • ان الخالة ايفلين شغوفة مجنونة به حتى الهوس•

أنجيلينا : هذا صحيح • الجميع يحبونه الحب كله •

ريجينا : أما أنا فلا •

أنجيلينا : ماذا فعل بك ؟

ريجينا : لم يفعل شيئا حتى الآن ولكننى لا أستطيع أن أراه بغير أن يعرونى اضطراب • أجيبينى يا انجيلينا: هل تحبين الملازم فيشفسكى ؟

أنجيلينا : أنا ؟ آه • لا • يالها من فكرة !

ريجينا : لماذا قلت ان الجميع يحبونه كثيرا ؟ هل تحبينه أنت أيضا ؟

أنجيلينا : يا لك من غبية ــ لقد جرت العادة على أن نقول مثل هذه العبارة • فهو لطيف جدا أو على الأصح لطيف اكثر من اللازم . أنا أفضل الرجال حين يكونون أكثر • • ساعدينى • ماذا أريد أن أقول ؟ ليس هو كالآخرين من الرجال •

ريجينا : هل وجدت نفسك بمفردك معه فى احدى المرات؟

أنجيلينا : نعم مرة أو اثنين •

ريجينا : هل أبدى الاعجاب بك ؟

أنجيلينا : هو ؟ كلا ! هو ظريف جدا معى ، ولكنه شارد الذهن ، ويكلمنى كما لو كان يتكلم الى طفلة صغيرة • كل الناس هنا يتحدثون معى كما لو كنت طفلة صغيرة • الا أنت •

ريجينا : هل تستطيعين أن تؤكدى لى أن الملازم فيشفسكى لم يتغزل فيك قط ؟

أنجيلينا : كم أنت غريبة الأطوار ! ـ أستطيع أن أقسم لك بالانجيل على ذلك .

ريجينا : لا جدوى من القسم على كتاب يحرم علينا الحلف . يكفينى أن تقولى لى ببساطة ما حدث.

(صمت) .

أنجيلينا . لا أتحدث اليك كما أتحدث الى طفلة ولكن كما أتحدث الى امرأة . سوف أغادر بونافنتور بسبب الملازم فيشفسكى .

أنجيلينا : كيف ذلك . . لقد ذكرت أسبابا أخرى منذ قليل .

ريجينا : السبب الرئيسى أننى لا أود رؤية هذا الرجل بعد الآن .

أنجيلينا : غير أنه سيرحل خلال بضعة أيام .

ريجينا : ولكن سنيعود . وأتخيل أنه موجود هنا على الدوام .

أنجيلينا : هل تمقتينه الى هذا الحد ؟

ريجينا : (بعد تردد) نعم . على كل حال أمقت الشر الذي يمكن أن ينفثه .

أنجيلينا : هذا غير معقول . فالملازم فيشفسكي لا يسيء الى أحد .

ريجينا : أنت لا تعرفين شيئا .

أنجيلينا : وأنت ؟

ريجينا : أما أنا فمتأكدة . هذا الرجل خداع .

أنجيلينا : كان أبي يقول بالأمس انه لم ير قط انساناً له مثل نظراته النبيلة .

ريجينا : وماذا يعني ذلك ؟ الكذاب يمكنه أن ينظر اليك نظرة استقامة ، على حين يمكن أن يكون انسان آخر ثم الناس من حيث المظهر وهو بريء . أنا لا أعتقد في نبل النظرات .

أنجيلينا : يخيل الي أحيانا أنك لا تؤمنين بشيء يا ريجينا .

ريجينا : أنا قليلة الثقة بالرجال . « احذروا الرجال » هكذا قال المسيح ولم يلتفت أحد الى ذلك .

أنجيلينا : لماذا لا تذهبين الى الكنيسة ؟

ريجينا : لأن ما تعتقدونه يخالف ما أعتقده .

أنجيلينا : لا أفهم ما تقصدين . فأنت برغم هذا مسيحية .

ريجينا : لست مسيحية بالمعنى المطابق تماما لما تفهمون . فأنا لا أعتقد فى الثالوث أو ألوهية المسيح أو التعميد . . .

أنجيلينا : ريجينا ! ـ ألم أكن على صواب عندما قلت أنك لا تؤمنين بشىء . ؟

ريجينا : اننى أومن بالله وكفى . اله المسيح الذى يوجد فينا جميعا .

أنجيلينا : لو سمعك أبى لأحس بالاهانة .

ريجينا : أبوك يعرف تماما ما أومن به .

(صمت) .

ألم تكونى ترغبين فى أن تقولى لى شيئا ؟

أنجيلينا : نعم ولكنى لا أستطيع ذلك الآن .

ريجينا : لماذا ؟

أنجيلينا : فمنذ لحظة تغير كل شىء . يبدو لى أننا لم نعد نفس الشخصين .

ريجينا : هذه فكرة من نفسك تخالينها .

أنجيلينا : يبدو عليك أنك بائسة كل البؤس .

ريجينا : لست بائسة اطلاقا يا بنيتى • اذا كان يبدو على الحزن فذلك بخاصة لأننا سنفترق عما قريب • ولكن كل شىء سيتحسن وسترين ذلك •

(تمسك يدها) •

أنجيليا • سأسافر خلال ثمانية وأربعين ساعة • لن تكون أمامنا فرصة لتفضى الىّ بأسرارك •

أنجلينا : هل تسخرين منى اذا رويت لك سرّى ؟

ريجينا : ومتى سخرت منك ؟

أنجلينا : (فى جهد) لقد كان ذلك قبل عيد الميلاد بقليل ، عندما كنت أنت فى فلوريدا مع الخالة لوسى ؛ اذ حضر السيد ماكلور وابنه للتحدث مع أبى بشأن مزرعتهم التى أرادوا بيعها •

ريجينا : أعرف ذلك •

أنجلينا : وقد بقوا للعشاء ، ورحلوا معا فى وقت متأخر على جواد • فى لحظة من اللحظات وجدت نفسى فى ركن « الصالون » وكان الجميع يتحدثون فى السياسة • ولكننى لم أكن أصغى الى السياسة فهى تضايقنى • وعندئذ رأيت ماكلور الصغير يترك مكانه ويعبر الصالون ليأتى نحوى • كان

يلبس ملابس سوداء • ووقف أمامى لحظة ، ثم نطق بشىء لم أفهمـــه • رأيت شـفاهه تتحرك ولكنى تصورت أننى أصبحت صـماء • لقد بعث ذلك فى قلبى الخـــوف وبقيت ذاهلة • واقترب منى جدا حتى لمست يده يدى دون المعصم • لعله توقع أن أقول له شـيئا ، وكذلك أنا ، ولكنى لم أستطع •

ريجينـا : لـماذا ؟

أنجيلينـا : لا أدرى . لقـد بقى بلا حراك بعض لحظات ثم ابتسم وعاد الى مكانه •

ريجينـا : سلوكه عجيب تماما كسلوكك • كيف يبـدو ، ما كلور الصغير ؟

أنجيلينـا : سترينه الليلة • يرى الناس أنه جميل جدا •

(فى هذه اللحظة يدخل الملازم فيشفسكى فى سكون من ناحية اليمين وينصت قليلا ، ثم ينظر لعصاه فوق البساط ، فيلتقطها ، ويظل بلا حراك عنـد فتحة الباب ، على بعد قليل من الفتاتين) .

لم يدم هـــذا كله سوى لحظة • وصعدت الى حجرتى • وانتـابنى تعب شـديد ورقدت فى سريرى • وكان القمر يضىء كل الحجرة • كنت

أتألم دون أن أعرف السبب • تمنيت لو كنت ميتة ، وأخيرا نهضت ثم هبطت السلم بهدوء لأخرج • كنت أود الخروج والانصراف من هنا • وخارج البيت تحاشيت الشارع الكبير الرئيسى لأنى خشيت أن يرونى من « الصالون » فقد كان ضوء الثريات ظاهرا من الشبابيك الكبيرة وكانت همسات الأصوات مسموعة • فتخلصت ومضيت أمامى على طول الممشى الصغير الذى يؤدى الى مآوى العبيد •

ريجينا : هذا ما منعوك منه !

انجلينا : لم أكن أعرف ما أفعل ، لقد كان ذلك تماما كالحلم نمشى ولا نحرك القدمين ، ونشعر كأنما نطفو فوق أرض جرداء • كانت الدنيا مظلمة جدا ولكن ضوء القمر كان يتخلل غصون الأشجار ، ويلقى بقعا فضية على الأرض • وبعد ذلك • • •

ريجينا : ماذا ؟

انجلينا : بعد ذلك سمعت زنوجا يهمهمون بشىء ، وفجأة رأيتهم فى قطعة أرض عراء وسط الغابة • كانوا تسعة أو عشرة فى جلسة دائرية جاثين أمام شخص

غير مرئى . كانت جبـــاههم تلمس الأرض ويتحدثون بصوت سريع .

ريجينا : ماذا كانوا يقولون ؟

أنجيلينا : لا أعلم . لقد منعنى الخوف من الاقتراب منهم أكثر من ذلك . فأسرعت بالانصراف عنهم واذا بى أضل الطريق .

ريجينا : ضللت الطريق ؟

أنجيلينا : لم أعد أعرف أين كنت . وظللت أضرب على غير هدى فى الغابة التى تحيط بالبيت مدة طويلة ثم حدث شىء داخـــل نفسى ، فاذا بى أجثـــو على الأرض مثـــــل هؤلاء الزنوج . وأحسست بالأرض تحت خدّى .

ريجينا : كنت تحلمين يا أنجيلينا ؟

أنجيلينا : كلا ؛ لم أكن أحلم . هل وضعت خدك مرة على الأرض العارية ؟ على الأرض ، لا على العشب .

ريجينا : لا أعتقد . لا أذكر .

أنجيلينا : لا شىء يشبه صلابة الأرض وبردهـــا وصدق طبيعتهـــا فى ليلة من شهر ديسمبر اذ تشعرين بسطح الأرض الخشن العـارى مثل حرق على

بشرتك أو كمداعبة مديدة غليظة • لم أكن نائمة يا ريجينا • لقد أحسست كما لو كان بينى وبين الأرض توافق كما هى الحـــال بين شخصين يتناجيان بسرّ •

ريجينـا : سر ؟

أنجيلينـا : الأمر الحقيقى أكثر مما تظنين • لقـد أحدثت حفرة فى الأرض بأصـابعى وهمست بشىء في هذه الفتحة كما لو كانت صماخ أذن • وأدنيت وجهى من الأرض وطلبت شـــيئا . ثم سددت الحفرة بعد ذلك •

ريجينـا : لا أحب ما ترونه يا أنجيليا • هل أديت صلواتك فى تلك الليلة ؟

أنجيلينـا : أوه ! الصـلوات • تعرفين كما أعرف أنهـــا لا تجاب أبدا • فى العـام المـاضى طلبت من الله مدى شـــهر أن يدفع خالتى الى اعطائى ثوبا من النسيج الخفيف الشفاف بمناسبة عيـد ميلادى الخامس عشر . كنت أرغب رغبة مميتة فى هذا الثوب . ولا من مجيب . تمـــاما كالحديث الى أصم •

ريجينـا : أنجيلينا ؟

أنجيلينا : أوه ! لقد كنت أعرف أنك ستصرخين •

ريجينا : وأنا بدورى أسألك اذا كنت مسيحية •

أنجيلينا : لا تفهمين • يقينا أنا مسيحية • أقرأ الانجيل وأتردد يوم الأحد على الكنيسة • ولكن لاداعى الى طلب شيء نود الحصول عليه من الله • فهو أولا لا يجيب أبدا • ثم أننى أخطأت بالكلام معك كما أرى •

ريجينا : لا ، يا أنجيلينا ، لا • استمرى ، أرجوك • أخبرينى كيف عدت الى البيت •

أنجيلينا : (عابسة) عدت الى البيت • هذا كل مافى الأمر • لقد وجدت الطريق ثانية •

ريجينا : أخبرينى بالحقيقة • لقد وجدت نفسك فى سريرك وأدركت أنك كنت تحلمين بذلك كله •

أنجيلينا : كلا ! عندما عدت الى حجرتى غسلت يدىّ فى الطشت خلال مدة لا أعرف مداها • كانت أظافرى مليئة بالطين • وضعت ليدى من الصابون قفازين ناصعين • هل تعرفين ؟

ريجينا : أعرف • • •

أنجيلينا : اسمعى • فى اليوم التالى لذلك اليوم ، كنت

أتنزه بعد الظهر فى أطراف المزرعة عندما جرى نحوى طفل زنجى ووضع رسالة فى يدى • لن أستطيع الحياة بعد اذا لم أرو ذلك لأحد • ولكى أقرأ ذلك الخطاب انتظرت حتى أصبحت بمفردى فى غرفتى • لقد كانت نظراتى تقفز من سطر الى آخر دون أن أستطيع الفهم ، وأدركت أننى كنت أرتعد • كانت رسالة غرامية • • ألا تقولين شيئا ؟

ريجينا : أنا فى انتظار ما بعد ذلك •

أنجيلينا : أخذت تلك الرسالة ودعكت بها رقبتى وأذرعتى بلذة لا يمكنك تخيلها •

ريجينا : لماذا أخفيت عنى أنك كنت عاشقة يا أنجيلينا ؟

أنجيلينا : أنا عاشقة ؟ مغرمة بابن ماكلور ؟ ولكنك لم تتابعينى فى شىء يا ريجينا المسكينة • لقد طلبت مجرد أمارة • وقد منحت الأمارة • أريد أن أكون محبوبة ، أتفهمين ؟ لا ، لاتقولى لى ان الله يحبنى ، كما لو كنت فى السادسة من عمرى • فهذا ازعاج لى • أريد أن يحبنى الرجال •

ريجينا : أنت فتاة سيئة ، يا أنجيلينا •

أنجيلينا : ماذا يبعثك على الاعتقاد أننى فتاة سيئة • أنا لم أسىء التصرف • ولست أنا الذى طلبت الى « أريك ماكلور » أن يكتب الى هذه الرسالة • لا تعبسى هكذا • فأنت وحدك هنا التى أستطيع أن أفضى اليك بأسرارى • لا أحد يعبأ بى لأنى أبدو فتاة صغيرة •

ريجينا : يمكنك أن تبوحى ببعض الأشياء الى خالتى ايفلين •

أنجيلينا : ألا تكونين مجنونة ؟ لماذا لا أبوح لأبى مادمت قد وصلت الى هذا الحد ؟ سأموت خجلا وكذلك هما • فالناس فى مثل سنهما لايعرفون ماالحب • ثم ان خالتى ايفلين صارمة كهندى عجوز • انها تحرم علىّ جمع شعرى فى مؤخر رأسى • طبعا عندما أكون بمفردى فى غرفتى أسرّح شعرى كامرأة حقيقية • لو كان « أريك ماكلور » يرانى فى تلك اللحظات • • •

ريجينا : ماذا صنعت برسالته ؟

أنجيلينا : آه

(تضحك) •

أكلتها .

ريجينا : أكلتها ؟

أنجيلينا : وما المدهش فى ذلك ؟ ألم يرووا أن القديس يوحنا الانجيلى أكل كتابا بأكمله ؟ وأكل الخطاب أيسر من ذلك بكثير . يمكنك أن تبتلعى قطعة قطعة بهدوء . قبل هذا دعكت جسمى بخطابه .

ريجينا : لقد رويت لى ذلك من قبل . لا أحب هذه القصة يا أنجيلينا .

أنجيلينا : ذلك لأن تفكيرك سىء التكوين ككل الأشخاص فى سنك .

ريجينا : ماذا تعنين بالأشخاص فى سنى . عمرى الآن اثنان وعشرون سنة .

أنجيلينا : هذا صحيح . عندك خمس سنوات زيادة عنى .

ريجينا : انك غير جادة يا أنجيلينا . وأخشى أن يقودك طيشك الى ارتكاب حماقة من الحماقات التى تجعلك فى خطر .

أنجيلينا : فى خطر ؟

ريجينا : نعم فأنت مسيحية يا أنجيلينا . . .

أنجيلينا : أرجوك لا تقولى لى أشياء محرجة . أحس بأنك

ستحدثيننى عن روحى وعندما يحدثنى امرؤ عن روحى أشعر بأننى عارية تماما .

ريجينا : ومع ذلك يجب أن يرشدك أحد . . .

أنجيلينا : انك تشبهين « نونو » . فهى تقول لى : « اذا لم يكلمك أحد بشأن روحك فستذهبين الى الجحيم يا آنسة أنجيلينا .

« تقلدها قائلة » :

من السهل جدا الذهاب الى الجحيم ، ولكن متى ذهب المرء اليها بقي فيها » . انها تزعجنى . لقد قلت لها مرة : « أنت تتكلمين عن النار كما لو كنت قد زرتها » . فأجابتنى بقولها : « أنا لم أزرها ، ولكننى أعرف شكلها على حسب ما قاله لى راعى الكنيسة » وعندئذ سألتها : « وكيف هى بحق الشيطان » ، هل تعرفين بماذا أجابت ؟ « اننى أراها ناصعة البياض » وليس فى هذا الوصف شيء مما اعتادوا روايته لنا . .

ريجينا : أنجيلينا ، ربما تكون هذه الساعة آخر ساعة نقضيها معا . . .

(يتقدم الملازم فيشفسكى خطوة الى الأمام ويقول بصوت جد هادىء) .

يان : آنسة ريجينا . . .

(أنجيلينا تصرخ) .

ريجينا : ماذا هناك يا ملازم فيشفسكى ؟ هل أنت هنا منذ مدة طويلة ؟

يان : ترجوك « سنز استرونج » التوجه اليها فى الشرفة فى رفقة أنجيلينا .

(ينحنى ويخرج من ناحية اليمين) .

أنجيلينا : (يدها فوق صدرها) ريجينا ، لقد سمع كل شىء .

ريجينا : لا أعتقد ذلك . على أية حال ليس لذلك أهمية كبيرة .

أنجيلينا : سيقول لأبى أننى ذهبت الى ناحية الزنوج .

ريجينا : لا يمكنه ذلك ، لأن معناه أنه يتلصص بالانصات خلف الأبواب . هيا بنا .

(تتجهان للخروج ، فتقابلان جيمى ومربيه السيد هوايت اللذين كانا على وشك الدخول من ناحية اليمين) .

ريجينا : ماذا فى الأمر ياسيد هوايت ؟ أنت تبدو مضطربا .

السيد هوايت: ليس بى شىء يا آنسة . أنا أبحث عن السيد برودبريك .

أنجيلينا : آمل ألا تكون قد بلغتك أخبار سيئة .

السيد هوايت: لا يا آنسة أنجيلينا ، ولكننى أود مخاطبة أبيك .

أنجيلينا : لقد لمحته منذ هنيهة فى الشارع الكبير مع العم جون .

السيد هوايت: أشكرك يا آنسة . سأذهب للقائه .

(أنجيلينا وريجينا تخرجان من ناحية اليمين ، متجهان الى جيمى) .

سوف تبقى هنا يا جيمى حتى ألقى والدك ، وبعد ذلك أتركك معه بمفردك . عليك أن تخبره بنفسك عما حدث .

(جيمى يدخل يديه فى جيوبه وينظر من النافذة) .

جيمى : افعل .

السيد هوايت: لا تتحرك من هنا حتى يأتى أبوك .

جيمى : وماذا أصنع أثناء الانتظار ؟

السيد هوايت: تفكر فى خطاياك يابنى .

(جيمى يهز كتفيه . يخرج السيد هوايت من ناحية اليمين . يتجه جيمى الى « الكنبه » ويجلس عليها كمن يعلو ظهر الحصان ، وينظر من النافذة . يسمع

صوت غناء زنجية عن بعد . ويقفز جيمى بعد لحظة من على « الكنبة » ويتجه الى أقصى « الصالون » . يرى وهو يعطى اشارة لشخص ما . بعد ثوان يدخل الملازم فيشفسكى من أقصى «الصالون») .

يان : ماذا تريد يا جيمى ؟

جيمى : لقد ارتكبت حماقة . منذ وقت قليل طلبت من سام أن يقوم بتلميع سرج حصانى فأجابنى بأن لديه عملا آخر . عندئذ صفعته علىّ وجهه بكل قوتى حتى كاد يسقط على الأرض من أثر الضربة .

يان : حسن وماذا فى الأمر ؟

جيمى : أتعد ذلك صوابا ؟

يان : ليس لى ما أقوله بهذا الشأن . لماذا تكلمنى عن ذلك ؟

جيمى : لسوء الحظ شاهد السيد هوايت هذه الحادثة من شباك غرفته وطلب منى أن أخبر أبى بالأمر وأن أتهم نفسى ، فاذا شئت ...

يان : وماذا بعد ذلك ؟

جيمى : لعلك تستطيع أن تسوى الأمر بحديثك مع والدى .

يان : ليس لى أن أتدخل فى هذه القصة أصغ ياجيمى . هل يحدثونك عنى أحيانا فى هذا البيت ؟

جيمى : عنك أنت ؟ لا أعرف . بلى . بلى . أبى يحبك كثيرا .

يان : هذا جميل . والآخرون ؟

جيمى : الآخرون ؟

يان : نعم . ابنة عمك ريجينا مثلا .

جيمى : ريجينـــا لا تكلمنى أبدا وأنا لا أتكلم أبدا مـع ريجينا .

يان : لمـاذا ؟

جيمى : لأنها من الشمال .

يان : يهمنى أن أعرف ما فى خاطر ريجينـــا بشأنى . أريد منك أن تطلب اليها ذلك مساء اليوم ، ولكن دون أن تثير فى نفسها الشكوك . . .

جيمى : أنا أرفض الكلام مع ريجينا . . .

يان : فى هذه الحالة . . .

(فى تلك اللحظة يظهر ادواردبروديريك . يدخل من ناحية اليسار خافضـــا عينيه

ويتقدم نحو وسط المسرح وينظر إلى المكان الذى كان العم جون واقفا فيه) .

جيمى : (بعد صمت) ماذا بك يا أبى ؟

ادواردبروديريك: لا شى يا صـــغيرى . كنت أفـكر . كنت أفـكر بشأنكما أنتما الاثنين . لقـــد طلبت منى الاذن يا جيمى بالتنزه مع الملازم فيشفسكى . سوف أكون مسرورا يا سيادة الملازم اذا قبلت صحبة ابنى .

(فيشفسكى ينحنى) .

جيمى : شكرا يا أبى .

ادواردبروديريك: أنا سعيد برؤيتك يا سيادة الملازم . لدى ما أقوله له ، ومن المستحسن ألا تسمعه أختى .

جيمى : (فى حيوية) تحب أن أنصرف من هنا يا أبى ؟

ادواردبروديريك: لا . لا . يمكنك البقاء هنا فمن الخير أن تعلم هذا .

(الى الملازم فيشفسكى) .

منذ وقت قصـير صحبت العم جون العجوز حتى المخـازن . كان قد جاء لزيارتى ليحيطنى علمـا ببعض ما لا أدريه من الرؤى والاحساســـات

بالمستقبل . هنا من الأنبياء كثرة مفرطة فى هذه البلاد بين الزنوج .

يان : فى عصـــور مضطربة مثل عصرنا ، يوجد دائما أنبيـــاء البؤس .

ادوارد بروديريك: وأثناء عودتى واجهت أحد الفرسـان الذى كان يحمل رســـالة مطوية لك . وقد طلبت اليه أن يسلمها لى ، فاستجـــاب لطلبى وذلك عندما علم أننى مالك هذه المزرعة . ها هى ذى .

(يسحب رسالة مطوية من جيبه ويمـد يده بها الى فيشفسكى) .

أخشى أن تكون أجازتك قد قطعت . فمعنى ذلك أن أحداثا خطيرة على وشك الوقوع .

يان : (بعد أن ألقى نظرة على الرسالة) آن اجازتى قد قطعت فعلا وينبغى أن أرحل من بونا فانتور غدا صباحا . ولكن لا غرابة فى الأمر . فالواقع أن التصريح لى بالاجازة كان نوعا من الاستثناء . كان قائد سريتنا يغمض عينيه عن مثل هذه الأمور ، غـير أن « واشنطن » أرســلت جنرالا فى دورة تفتيش ، وهو واحد من أولئك الجنرالات اللائى يضربون بمهمازهم أرض المكاتب مستحثين .

ادوارد بروديريك: هل سترحل ؟

يان : الأمر هو الأمر لدى الجندى .

ادوارد بروديريك: هل أنا فى حاجة الى أن أخبرك بالموقف الغريب الذى نجد أنفسنا فيه الآن ؟ نحن هنا على بعد سبعة وثلاثين ميلا من شارلستون . وأمام ميناء تلك المدينة تماما جزيرة وقلعة .

يان : قلعة سومتر . من الذى يعرفها أكثر منى ؟

ادوارد بروديريك: قلعة سومتر تشرف على مدينة شارلستون . وهى الآن فى قبضة قوات الولايات المتحدة التى قررت واشنجطون تموينها بدلا من سحبها الذى كان مطلوبا من قبل .

يان : تعنى ما طلبه الجنرال « بوريجار » قائد قوات كارولين الجنوبية الذى صوب مدافعه الى قلعة سومتر .

ادوارد بروديريك: فى الجنوب نكاد نكون جميعا أقارب . وأعرف الجنرال بوريجار . فهو ذو عقل مشبوب مثل عقول أكثرنا . فلو رأى أى تحد فى حركة الشمال فلن يتردد طويلا فى اطلاق نيران مدافعه على قوات الولايات المتحدة .

يان : واذا لم ير تحديا ؟

ادواردبروديريك: عندئذ ستأخذ المناقشة مع الرئيس لينكولن مجراها وتصبح هناك فرصة للسلام .

يان : فلننتظر .

ادواردبروديريك: أخشى يا سيادة الملازم ألا يكون مسموحا لك بالانتظار أكثر من هذا . لتفهمنى جيدا . اذا كان سيجرى شىء فسوف يجرى غدا أو هذه الليلة . من الجائز أن نسمع دوى المدافع بعد ساعات قليلة . وفى تلك اللحظة ستكون اما فى صفوف الشمال أو فى صفوف الجنوب .

(مع مجهود ظاهر) .

أرجوك أن تبقى فى صفنا .

يان : لقد قطعت على نفسى قرارا بشىء .

(ريجينا تدخل من ناحية اليمين ، وتبقى بغير حراك . لا يراها ادوارد بروديريك ، ولكن ينظر فيشفسكى اليها محدقا فى عينيها) .

ادواردبروديريك: وماذا ترى ؟

يان : سأحيطك علما فى الوقت المناسب .

ادواردبروديريك: (لامحا ريجينا) ماذا تريدين يا ريجينا ؟

ريجينا : تريد خالتى ايفلين التحدث اليك .

ادوارد بروديريك: (مخاطبا ريجينا) سوف أحضر بعد لحظة .

(مخاطبا فيشفسكى) .

أنا على ثقة منك . فأنت ابن بالنسبة الىّ . كابنى . وابنى لن يخطىء .

(يدخل من جهة الشمال السيد هوايت متجها نحو ادوارد بروديريك) .

السيد هوايت: يا سيد بروديريك هل أخبرك ابنك ؟

ادوارد بروديريك: ابنى ؟ لا أفهم شيئا يا سيد هوايت .

السيد هوايت: أرى الآن أنه لم يبلغك شيئا .

ادوارد بروديريك: اذا كنت تريد أن تشكوه الىّ يا سيد هوايت فأحب أن تؤجل الأمر الى ما بعد . فلدىّ من الهموم ما يكفينى .

السيد هوايت: آسف يا سيدى . ولكن الأمر متعلق بغلطة كبيرة ارتكبها ابنك وهى تستدعى المامك بها على وجه السرعة .

ادوارد بروديريك: ما قولك فى هذا يا جيمى ؟

جيمى : أرفض الكلام .

السيد هوايت: اذن فسأتكلم أنا .

جيمى : أفضل أن يتكلم الملازم فيشفسكى ، فقد رويت له كل شىء .

يان : لقد صفع جيمى زنجيا لم يطع أوامره .

ادوارد برودريك: رفعت يدك على زنجى ؟

جيمى : نعم . طلبت منه أن يقوم بتلميع سرج حصانى ولكنه رفض .

السيد هوايت: لقد أجاب بأنه سيقوم بهذا فيما بعد .

ادوارد برودريك: ألم تكن تعرف أننى أمرت بعدم ضرب أى زنجى أو توبيخه الا بعد الاستئذان منى .

(غضب مفاجىء) .

تختار هذه اللحظة لتضرب عبدا على حين أنا قد نكون على قيد أصبعين من حرب يتخذون أرقاءنا تعلة لإشهارها علينا . لو استجبت لنفسى لضربتك ضربا مبرحا حتى يسيل الدم من وجهك . هى غطرسة أمك ؟ هى غطرسة أمك التى تظهر فيك ، ولكننى سأحطم هذه الغطرسة وسأجعلك تطلب الصفح .

(متحدثا الى الملازم) .

يا ملازم فيشفسكى . اصحبه خلف المخزن .

الى المنزل الذى خلف المخزن لتعاقبه على نحو ما يبدو لك .

يان : أليس من الأنسب أن يعاقبه مربيه ؟

السيد هوايت: اننى لم أرفع يدى عليه أبدا . ولن أبدأ ذلك اليوم .

ادوارد برودريك: (مهتاجا) لم يرفع أحد يده عليه وهذا هو ما ينقصه . لقد كانت وسائل التربية القديمة نافعة . لقد أصغيت اليك وأنت تحادث أختى بهذا الشأن يا ملازم فيشفسكى منذ وقت قصير . للمرة الثانية أطلب اليك أن تصحبه وأن تعاقبه بحيث يسمعونه فى بيوت الزنوج . أريد أن يعرفوا . .

ريجينا : عمى . . .

ادوارد برودريك: أتركينى .

(يصحب فيشفسكى جيمى من ناحية اليمين ، ويخرج السيد هوايت من ناحية الشمال)

ريجينا : عمى . اصغ لى .

ادوارد برودريك: (ملقيا بنفسه على « الكنبة ») لا أريد سماع أحد . أنا أعانى . لا يدرى أحد الى أى حد أعانى .

ريجينا : أريد أن أكلمك يا عمى . فأنا أيضا بائسة .

ادوارد برودريك: بأى حق ؟ أنت لديك الهك ، ملاذك ، أما أنا فيبدو لى أن كل شىء سيتحطم فى نفسى عند اقتراب هذه الحرب اللعينة . لا يمكنك أن تفهمى هذا يا ريجينا ، لأنك لم تعيشى . لقد بلغ بى الأمر أن صرت أتمنى ما كنت أخشاه .. أن تطيح مدافع بوريجار بالصمت المخيم على المزرعة .

ريجينا : (تصرخ فجأة) اصغ الى . لا أريد أن يلمس الملازم فيشفسكى ابنك .

ادوارد برودريك: (ناهضا) ريجينا ، أنت لا تعرفين ما تقولينه .

ريجينا : لو كنت تعرف من هذا الرجل ، لطردته من بونافنتور .

(يخرج ادوارد برودريك من ناحية اليمين ، وتجثو ريجينا على ركبتيها أمام « الكنبة » وتخفى رأسها بين ساعديها . بعد ثوان تدخل انجلينا من ناحية الشمال وتجرى نحو ريجينا) .

انجلينا : ريجينا ماذا بك ؟ سمعت أبى يتكلم بصوت مرتفع ، وكذلك أنت .

ريجينا : (تنهض فجأة) فى هذه اللحظة بالضبط يقوم الملازم الأجنبى فيشفسكى الذى استضافه أبوك

فى بيته عن ضعف منه ـ بضرب ابنه كما يضرب المزارع عبدا من عبيده .

أنجلينا : ماذا أصابك ؟

ريجينا : يرتكب أبوك خطأ آخر ، لأن جيمى قد ارتكب خطأ ؟ فيجعل هذا المتوحش الذى تولعون به يضرب بالسوط طفلا .

(تمسكها من معصمها) .

اجثى على ركبتيك يا أنجلينا ، واطلبى من الله أن يرعاك .

أنجلينا : أنت معتوهة يا ريجينا . ليست هذه أول مرة يعاقب فيها ولد بأمريكا . ولو استدعى الأمر طلب العفو من السماء كل الأيام التى يجرى فيها ذلك لظللنا طول حياتنا على ركبتينا .

ريجينا : لا تمزحى على هذا النحو يا أنجلينا . أنتم لا تعرفون ما تفعلونه هنا . الملازم فيشفسكى وحش وأنتم جميعا عمى ، عمى .

أنجلينا : لا أكاد أصدق أذنى . أأنت نفسك التى كنت تتكلمين معى منذ وقت قصير بأسلوب جد رصين ، ثم تتخولين الآن الى هذا الهذيان . تضعين نفسك

فى هذه الحالة من أجل بضع ضربات بالعصى لطفل غير مطيع . . .

ريجينا : أتوسل اليك أن تجرى الى المخازن وتمنعيه من لمس أخيك . .

أنجلينا : ولماذا لا تذهبين أنت بنفسك الى هناك ؟

ريجينا : لن يستجيب لى . قلت لك آنفا أنه يبغضنى .

(ضاربة الأرض برجلها) .

أطيعينى أيتها الفتاة العنيدة . آمرك بالذهاب الى هناك .

أنجلينا : من المؤكد أننى لن أذهب الى هناك . أنت مضحكة يا ريجينا .

ريجينا : أنت لا تعرفيننى يا أنجلينا . لا أحد يعرفنى . أخفيت دونكم أشياء كثيرة لا يتعلق بها ظنكم .

(تلقى بنفسها على الكنبة) .

أحس أن الضربات التى يعطونها لجيمى تهبط على بدنى . فوحشية هذا الرجل مرعبة .

(تصرخ) .

ألا ترين اذن أنه جلاد .

(أنجلينا تتراجع خطوة) .

أنجلينا : ريجينا ، أنت تخيفيننى . سأجرى الى المخازن ..

ريجينا : (تنهض وتأخذ بيد أنجلينا) ـ اسمعى ياأنجلينا . أنا أحب الملازم فيشنفسكى حتى لم أعد أدرى ماذا أصنع . لهذا السبب أردت الهرب من بيناڤنتور . أحب هذا الرجل فى حين أشعر فى نفسى بما يبغضه الى . لقد انتزع منى السكينة والابتهاج فى الحياة . ولم أخبره بذلك قط ولكنه يعرف كل ذلك . وينتظر منى أن أفتح فمى معترفة له حتى أتحول الى أمة له ولكننى لن أفصح عن شىء ، سأهرب من المزرعة . . لا يكن لى سوى الاحتقار . ولا يمكن أن يدير عينه نحوى الا وأرى بريق الانتصار . واليه وحده يرجع السبب أنى أكره كل الجنوب .

أنجلينا : ولكنه ليس من أبناء الجنوب .

ريجينا : ولكن فيه من الجنوب تلك الخطرسة البالغة المدى . أردت أن أقاومه فقلت له انه من هناك ، من أوربا ، ولكن مم يتكون الجنوب الا من الأرستقراطيين فى منفى ؟ . هذه الخطرسة التى ستقضى عليكم هى نفسها التى أحس بها فى أقل حركة من حركات ذلك الرجل الذى أحبه حب العبادة بسبب وضاعتى . هل سمعت ما قلته ؟

آنجيلينا : (تتراجع أمام ريجينا) لاتتكلمي بهذا الأسلوب.

(وقع خطوات من ناحية الشمال) .

هم قادمون ، فلنهرب من هنا يا ريجينا . . .

(تخرجان من أحد أبواب اليسار . بعد لحظة يظهر على عتبة الباب من ناحية الشمال شاب في ملابس سوداء . يظل بلا حركة . في نفس اللحظة تقريبا يدخل فيشفسكي من ناحية اليمين ويقف تماما عند رؤيته الرجل المجهول . ينظر الرجلان كل منهما الى الآخر دون أن يتحركا . يتخفت النور) .

ستار

الفصل الثانى

المنظر الأول

« نفس ديكور منظر الفصل الأول . ليس من انفصال زمنى بين الفصل الأول والفصل الثانى . يخلع الشاب ذو الملابس السوداء قبعته ويتقدم خطوة واحدة . فيشفسكى لا يتحرك ويبدو مذهولا » .

الشاب ذو الملابس السوداء : اسمح لى أن أقدم نفسى : أريك ماكلور .

يان : (يتقدم مادا يده الى ماكلور) أرجو المعذرة فلم أكن أتوقع . . .
ملازم أول يان فيشفسكى .

ماكلور : حدثنى السيد برورديريك كثيرا عنك يا ملازم فيشفسكى . لعلك تجد غرابة فى أننى لم أدخل من باب الشرفة الكبير . ولكنى كنت آمل حقا لقاء أحد الخدم ليعلن حضورى الى السيد برورديريك .

(صمت)

هل لى أن أعرف من فضلك لماذا تنظر الىّ على هذا النحو ؟

(صمت)

بيان : (مستعيدا هدوءه) هل كنت بمفردك عند دخولك الى هنا ؟

ماكدور : طبعا • لقد تركت فرستى بالشارع وعندما لم أجد أحـــدا توجهت الى البيت • أعترف لك أنى لم أتمكن من فهم ما تريد قوله تماما •

بيان : لقد خيّل الى أننى رأيت أحدا خلفك •

ماكدور : كلا • لم يكن أحـد فى صحبتى • وأكبر الظن أن أحدا لم يكن يتوقع حضورى مبكرا الى هـذا الحد •

بيان : بلى •

ماكدور : هل لى أن أطلب منك شـــيئا ؟ أريد التحدث الى السيد بروديريك على حدة اذا سمحت •

بيان : هذا أمر ميسور كل اليسر •

(يتجه الى اليمين ويجذب حبل الجرس)

عفوا ولكن يبدو لى أننى رأيتك فى العام الماضى فى الحفلة الراقصة للسلاح الخمسين من أسلحة

المدعية الخفيفة فى بوفور . لقـــد كان من بين المدعوين بعض المدنيين .

ماكلور : أعتقد أنك تخلط بينى وبين بعض الآخرين فانى لم أذهب بعد الى أى حفـــل رقص ولا أعرف الرقص .

يان : التشابه عجيب .

ماكلور : (ببرود) من ناحيتى أنا متأكد على أية حال أننى لم أرك قط .

(يظهر خادم على الباب من ناحية اليمين)

يان : (دون أن يرفع نظراته عن ماكلور) اذهب لابلاغ السيد برودبريك أن السيد أريك ماكلور يرغب فى التحدث معه بحجرة « الصالون » .

(يخرج الخادم)

لدى شعور بأننى أعرفك برغم ذلك بعض المعرفة .

ماكلور : لقد دعانى السيد برودبريك فى الواقع لقضـــاء يومين ولكن . . .

يان : لسوء الحظ ينبغى أن أرحل عن بونافنتور عنـد الفجر .

ماكلور : أنا نفسى لن أستطيع البقاء هنا أكثر من بضـــع

ساعات أو على أكثر تقدير الى صباح باكر •

برودبريك : (يدخل من ناحية اليمين) أهلا وسهلا يا سيدى فى بونافنتور •

ماكلور : أشكرك يا سيدى وسيغمرنى فضلك اذا سمحت لى بحديث معك لمدة دقائق معدودة • • •

(يلقى بنظراته نحو فيشفسكى) •

• • على انفراد •

برودبريك : • • • على انفراد ؟ أمن الضرورى جدا أن الملازم فيشفسكى • • •

ماكلور : هذه أكبر خدمة يمكنه أن يؤديها لى الآن •

(ينحنى فينحنى الملازم فيشفسكى أيضا • ثم يخرج من ناحية اليمين) •

اغفر لى اذا كنت هكذا صريحا • الملازم فيشفسكى من أصل بولون فيما قيل لى •

برودبريك : نعم •

ماكلور : هل هو مدرك لدلالة ملابسه الرسمية فى الأوقات الحالية ؟

برودبريك : (يشير اليه بالجلوس ، ويجلس هو كذلك)

فلنحذر استنتاج شيء من لون الملابس الرسمية قبل أن تشتعل الحرب . . . اذا لزم أن تشتعل .

ماكلور : لا أستنتج شيئا . والملازم فيشفسكى حر فى عمل ما يحلو له . أما فيما يتعلق بالحرب التى يهددوننا بها فليس من المؤكد أن تقع . فالشمال لا يميل اطلاقا الى النزال .

برودبريك : أعترف بأن سماع كلامك هذا يخفف الأمر . فقد كانت الأيام الأخيرة أيام محنة .

ماكلور : لا تعتقد كثيرا فى أصحاب الانذارات . تعلم أن الشمال متمسك بأن يترك لنا سياسة « الخروج فى سلام » اذا شئنا الانفصال عن الاتحاد .

برودبريك : أنا لا أخشى الشمال فى الحقيقة . انما أخشى الجنوب ، وعلى الخصوص الجنرال بوريجار .

ماكلور : أنت على خطأ فالجنرال بوريجار ذو نظرة صائبة . ولن يطلق أول طلقة الا اذا مسوا شرف الجنوب لا قبل ذلك . انك تذكر ما قاله شكسبير «العظمة هى ألا تتحرك الا لسبب قوى ... »

برودبريك : « ... ولكن أن تعثر على قشة ملقاة تجعلها سببا عظيما للشجار عندما يهدد الشرف » والقشة فى

هـذه الظروف هي قلعة ستورمتر الملعونة • لماذا جعل الله تلك الجزيرة الصغيرة هنـاك حيث توجد ؟

ماكلوود : ان الله لم ينشىء القلعة ومع ذلك فلا شيء يحدث الا باذن الله •

بروديريك : (يهمس) ولا ينزعني غير هذا الاذن الالهي • فهو يرسل الينا انجيله خلال أمواج من الدم •

(ماكلوود يأتي باشارة) •

لا • فلندع ذلك جانبا أرجوك • فأفكاري لايمكن أن تكون مسيئة اليك في هذه المسألة • أعتقد أنك كنت تريد أن تقول لي شيئا •

نعم •

بروديريك : وأنا أيضا سأطلب اليك خدمة بعد هنيهة • (يجلس) •

ماكلوود : (برقة) انني لم أحضر الى هنا كي أطلب خدمة •

بروديريك : أعذرني ، فأنا أشعر بعدم اطمئنان منذ عدة أيام • لقد تعجلت في كلامي وظننت تريد أن تحدثني بشأن مزرعتكم •

ماكلوود : الواقع أنني انما أردت الكلام معك بهذا الشأن •

لقد بعناها فى الأسبوع الماضى . من الصعب صيانة مزرعة بغير عبيد ، وشاء الله ألا يكون لدينا عبيد .

برودبريك : وماذا تدرى أنت بهذا الشأن ؟

ماكلور : لقد شعر أبى بذلك شعورا قويا مثلى . وقد ذهبت معه بالأمس الى شارلستون عند أبناء عمنا ماينجوه الذين عرضوا عليه البقاء عندهم .

برودبريك : وأنت ؟ ماذا سوف تصنع ؟

ماكلور : لقد نويت أن أخبرك فى نهاية السهرة اذا سمحت لى بارجاء ذلك حتى آنئذ .

(الضوء ضعيف فى هذه الفترة حتى يصعب تمييز شبح الرجلين) .

برودبريك : أعتقد أننى يمكننى تخمين ما تنوى احاطتى به . على أنه لا رغبة عندى فى سؤالك .

(صمت)

وحيث نحن الآن بمفردنا أحب أن أحدثك عن الملازم فيشفسكى . لقد رأيته لمدة قصيرة . ماذا يثير من شعور لديك ؟

ماكلور : (مترددا) من الصعب أن أرد على ذلك . فلم أره

سوي دقيقة أو دقيقتين ـ أنا على استعداد اجمالا لاحسان الظن بكل كائن بشرى ..

برودبريك : هل فى روحك أى تحفظ فيمـــا يتعلق بهـــذا الشاب ؟

ماكلور : تحفظ ؟ لا . فقد بدا مجـاملا وأكثر من اللازم تقريبا . وفى نفس الوقت ظهر لى أنه مضطرب . لا شك أنه أكثر حساسية منى نحو اشاعات الحرب التى تجهد آذاننا منذ خمسة عشر يوما .

برودبريك : أهذا كل شىء ؟

ماكلور : بالطبع وأنا على استعداد لتصديق كل ما يذكر لى عنه بالخير .

برودبريك : صحيح .

(صمت)

اذا كنت أحـدثك عن المـلازم فيشفسـكى الذى لا تكاد تعرفه فقـد دفعنى الى ذلك سـبب هام . الواقع أن الفكرة واتتنى فجأة عن طريق الهام فى إمكان معاونتك لى .

ماكلور : فيما يتعلق بماذا ؟

برودبريك : يتلخص الأمر كله فى أننى معتقد بأنه يميل الى

المحتوب ولكن بقايا ضميره المخلص للحكومة الاتحادية يدفعه الى الاحتفاظ بهذا الزى الرسمى.
وسيلحق غدا صباحا بوظيفته فى قلعة سومتر .

ماكلور : فعلا قال لى انه سيرحل فى الفجر .

برودبريك : اذا رحل من هنا واشتعلت الحرب فلن يعود أبدا . أود . . .

(ينهض ويتحول قليلا عن ماكلور) .

ماكلور : ماذا كنت تريد ؟

برودبريك : ليتك تمنعه من الرحيل .

ماكلور : (ينهض أيضا) هل تريد معرفة احساسى ؟

برودبريك : أرجوك أن تخبرنى به بدون مواربة .

ماكلور : هذا الرجل فار من الخدمة .

برودبريك : من ذا يأذن لك ؟ لم أفهم ؟

ماكلور : هل لك فى دراسة الموضوع بهدوء ؟ . القائد اندرسون محاصر مع قواته فى قلعة سومتر . وقد تلقى انذارا من الجنرال بوريجار منذ ثلاثة أيام يهدده بالضرب بالقنابل اذا لم يخل القلعة . وفى هذه الأحوال هل ترى من العادى أن يوافق على التصريح للملازم فيشفسكى بالأجازة ؟

بروديريك : هناك تصريحات كثيرة من كلا الجانبين . فلسنا في حرب . ليس هناك ما يدعوني الى الظن بأن الملازم فيشفسكي قد روى لي أكذوبة . وفي النهاية عليه أن يعود غدا صباحا الى عمله .

ماكلور : لن يعود الى عمله .

بروديريك : وماذا تعرف أنت بهذا الشأن ؟ من أين لك هذا التأكد ؟

ماكلور : أنا على استعداد لأن أقدم اليك معاذيري لو عاد الملازم فيشفسكي غدا صباحا الى قلعة سنومتر . منذ متى جاء الى هنا ؟

بروديريك : منذ ليلة الانذار .

ماكلور : هل غادر المزرعة منذ مجيئه ؟

بروديريك : لا . لقد ذهب الى المخازن تحت الأرض منذ قليل مع ابني ولكنه لم يغادر بوتافنتور فيما أعلم . ها أنذا أبدأ في سؤال نفسي ...

ماكلور : لا تقلق اطلاقا . فالملازم فيشفسكي لن يقاتل من أجل الشمال .

بروديريك : وماذا يعمل هنا اذن بملابسه الرسمية ؟

ماكلور : (ضاحكا) يعمل ما يعمله كثير من الشباب الأمريكي في الوقت الحاضر : انه يتساءل . وليس من السهل الى هذا الحد أن يغادر كتيبته .

لا بد أولا من بدلة مدنية . وطلبها ليس مستحبا . .

برودبريك : أتفترض أنه سينضم الى قوات الجنوب ؟

ماكلور : أنا لا أفترض شيئا .

(يدخل خادم ويضع مصباحا منيرا على المنضدة . ادوارد برودبريك يدع نفسه يسقط على كرسي . يظل ماكلور واقفا . يخرج الخادم) .

برودبريك : (في صوت منخفض) في الحقيقة لا أدري لماذا سيضطر الى القتال في صف الجنوب . فنزاعنا غريب بالنسبة اليه . لهذا أفهم شكه واضطرابه ...

ماكلور : لو اندلعت الحرب غدا يمكن الملازم فيشفسكي في يسر أن يلبس بدلة مدنية وأن يبقى آمنا في بونافانتور أو في أي مكان آخر .

برودبريك : لا أخفي عنك يا سيدي أن صيغة كلماتك لا تروقني .

ماكلور : هل تحب أن أنصرف ؟

برودیریك : لا . انتظر ؛ أرجوك . لقد أسأت التصرف حين وضعت لك هذه الأسئلة ، ولكن شكا ساور نفسي وأشعر من جرائه بالألم . أنا غير مطمئن الى كل ما أسمعه وكل ما أراه ، أنا واثق من أن ما يعده الزمن مخيف . وفيما يتعلق بالملازم فيشفسكي . . ولكن لا . لا يمكنني أن أتكلم عنه .. أنا ....

(صمت)

لا تطلق عليه حكما .

ماكلور : بل أنا مشفق جدا عليه .

(يتجه الى النافذة وينظر منها ويظل بلا حركة . يرتفع صوت عجلات أمام البيت وكذلك أصوات كلام ولا يلبث أن يدخل في نفس الوقت خادم ينحني أمام السيد برودیریك ويخرج . ويبدو السيد برودیریك كما لو كان يهم بالكلام ، ثم يعدل عن رأيه) .

برودیریك : فلنذهب الى الشرفة . أعتقد أن مدعوينا قد وصلوا .

(خروج) .

المنظر الثانى

(تدخل ريجينـــا من ناحيـــة الشمال وتجلس متهالكة على كرسى . تظل لحظـــة كما لو كانت متبلدة بدون أى حراك . تصل أصوات ضحكات ومحادثات من جهة اليمين . تدخل أنجيلينا عدوا من ناحية اليمين) .

أنجيلينـا : ريجينا ، هل رأيت اريك ماكلور ؟ انه أجمل مما كنت أعتقد . ولكن لماذا يلبس الملابس السوداء على حين أن الجو لطيف ؟ وماذا بك أنت ؟ لا يكاد يكفى ما لديك من الوقت لتغيير ملابسك .

ريجينـا : أريد أن أظل بمفردى . بعد كل ما رويته لك منذ قليل لا بد أن تفهمى ... سأصعد لألبس بعد لحظة .

أنجيلينـا : تريدين أن أصعد معك ؟

ريجينـا : لا . دعينى يا انجيلينا .

(أنجيلينا تخرج . وتظل ريجينـا بغير حراك . يدخل فيشفسكى من ورائهـا من ناحية الشمال) .

يان : (مسرعا) أود أن أتحـدث الى انجيلينا ، فهـل تعرفين أين هى ؟

ريجينا : (تنهض وتلتفت) لا .

(فجأة) .

يا ملازم فيشفسكي ، لدى ما أقوله لك .

يان : (كما لو لم يسمع شيئا) أريد أن أحادثها على انفراد) . ألا تستطيعين . .

ريجينا : سأذهب لاستدعائها اذا أصغيت الى لحظة .

يان : ماذا تريدين أن تقولى لى ؟

ريجينا : منذ قليل عندما كنا بمفردنا فى هذه الحجرة طلبت منى أن أكلمك .

يان : منذ قليل ليس الآن .

ريجينا : لعلك فهمت أنى كنت أريد أن أقول لك شيئا . هذا صحيح . هل تعرف ما كنت أقصد .

يان : طبعا .

ريجينا : لماذا طبعا ؟

يان : كانت رؤيتك تكفى . وكذلك الآن على أية حال .

ريجينا : (تخفى وجهها فى يديها) يا للعار ! . . ـ أموت خجلا أمامك .

يان : ابحثي لى عن انجيلينا .

ريجينا : بأى حق تأمرنى ؟

يان : (رافعا كتفيه) لا تلعبى هذا الدور علىّ . أعرف ما أبغيه فيك من كفاية . أنت ترتعدين يا ريجينا . لى لديك كل الحقوق ولا حاجة بى الآن الى سماع ما كنت تنوين قوله لى .

ريجينا : ولكنك كنت مصرا على أن أقوله لك منذ قليل .

يان : لم أعد نفس ما كنت منذ قليل . لقد حدث شىء ما منذ قليل .

(ممسكا بها فجأة من مقبضها) .

اذن فقوليه . قولى ما كنت تريدين قوله لى . تواضعى يا أيتها المتكبرة الصغيرة . ما دام هذا هو ما تطلبين . . .

ريجينا : (متخلصة منه) أتركنى فأنا أكرهك . .

يان : هل تظنين اننى لا أعرف هذا أيضا . ابحثى لى عن انجيلينا .

ريجينا : لا .

(يان يخرج من ناحية الشمال . تتبعه ريجينا ، ثم تتوقف فجأة وسط الحجرة) .

يان .

(فى نفس اللحظة تقريبا يدخل ادوارد برودريك) .

المنظر الثالث

برودبريك : ريجينا • لقد كنت أتساءل أين أنت • تعالى معى • سوف نتناول العشاء بعد دقائق •

ريجينا : أرجو المعذرة يا عمى • لن أتعشى ، فلست على ما يرام •

برودبريك : ماذا بك يا ابنتى ؟ هل أنت مريضة ؟

ريجينا : لا أدرى • أريد أن أستلقى على سريرى •

(فجأة) •

عمى ! أريد أن أموت !

برودبريك : (يأخذ بيديها) ماذا تقولين ؟ لا ينبغى أن تتكلمى هكذا يا صغيرتى ريجينا • أهذا بسبب الحرب ؟ قد لا تقوم الحرب • • •

ريجينا : لا • لا • ليس هذا بسبب الحرب •

برودبريك : • • أو لعل ذلك بسبب مغادرتك لبونافنتور • يمكنك البقاء اذا أردت • لقد قلت ذلك لك •

ريجينا : أستطيع البقاء • • •

برودبريك : أنت وحدك تقررين ذلك يا طفلتى • اذا كان

ذلك هو سبب ما يقلقك فيمكننا غدا صباحا أن نتحدث عن ذلك . هل أنت متأكدة أنه ليس من سبب آخر ؟

ريجينا : أننى أقدر طيبتك يا عمى ولكنك لا تملك لى شيئا .

برونديريك : (تاركا يديها) ليس لى أن ألح عليك يا ريجينا . على أنه يضايقنى أن أراك على هذا النحو . لقد اعتقدت ولا زلت أعتقد أنك جد صلبة .

ريجينا : سأكون كذلك حينما يلزم . هل تسمح لى بأن أستريح على هذا المقعد ؟

(تتحرك نحو مقعد كبير الى اليسار) .

سألحق بكم بعد لحظة .

برونديريك : لك ذلك يا بنيتى . هذا المقعد الذى كانت أمى تتكوم فيه أحيانا كى تنام . وكنا نلقى بالشال على رجليها .

(يضغط على يد ريجينا ثم يخرج من ناحية اليمين . وتجثم ريجينا فى المقعد . تدخل أنجيلينا من ناحية الشمال فى ثوب أبيض . تتجه الى مرآة كبيرة تتطلع فيها الى نفسها وتلمح ريجينا فى المقعد) .

أنجيلينا : (تهز ريجينا) ألم تلبسى بعد . تعالى معى الى

الشرفة . سندعى لتناول العشاء بعد ربع ساعة .

ريجينا : لا أستطيع العشاء بهذا « الفستان » .

انجيلينا : لا أهمية لذلك . فابنة مدام ريولو تلبس ملابس الرحلة العادية . لقد شاهدتها من نافذة حجرتي . ليس عشاء الليلة ذا مستوى كبير .

ريجينا : لا أريد أن يقع بصري على الملازم فيشفسكي .

انجيلينا : لن تجلسي بالتأكيد الى جواره . لو كنت مكانك لاكتفيت بألا أوجه اليه أي كلام ؛ أو لاحتفظت له بالاحتقار البالغ ذروته الذي ينبغي أن تنظر به المرأة الى أي رجل . وعندئذ سترين . . سترين ملازمك البولوني الصغير يأتي عاجلا كالكلب .

ريجينا : اسكتي يا انجيلينا فأنت لا تعرفين ما تقولينه .

انجيلينا : أما أنا فلا أريد أن يتركوني لحظة مع اريك ماكلور . فسوف يتشجع على أن يقوم باطلاعي مرة أخرى على مشاعره . اذا رأيته يتجه نحوي بحضرتي لنجدتي . مفهوم ؟ أوه ! كم يسرني هذا العشاء ! يا للخسارة ألا تسمح لي الخالة ايفلين بأن أصفف شعري كما يحلو لي .

ريجينا : (تنهض فجأة وتتجه نحو اليمين) ـ هيا هلمى يا ابنتى الصغيرة .

انجلينا : لا أحب أن يقال لى : ابنتى الصغيرة .

(تخرجان من ناحية اليمين) .

* * *

المنظر الرابع

(تدخل اليزا خادمة مسز استرونج من ناحية الشمال . تخطت الثلاثين من عمرها، طويلة القامة ، نحيلة ، وتميل فى لونهـــا الى القمحى الغامق ، وشعرها مجعد وتلبس مفزرا (مريلة) من النسيج القطنى الرقيق الأبيض ، وعلى رأسها قلنسوة من النسيج المخرم (الدانتلة) ذى الأشرطة الطويلة . تقف جامدة لحظات غير قصـيرة أمام المرآة الكبيرة ، وتتأمل نفسهـــا فى صمت ثم تقول :)

اليزا : اليزا فيرمور ! أنت امرأة جميلة .

(تتأمل نفسها وجها لوجه مع انحراف جانبى) .

شاحبة شاحبة ولكن جميلة .

(تمد احدى يديها) .

كم هى بيضاء ؟ !! .. هذا مخيف ! أعطنى يدك يا ليزا وهلمى نتنزه عند البحيرة فى ضوء القمر نحن الاثنان فى القارب ...

(تدور قليلا الى جانب ثم الى الجـانب الآخر مع استمرارها فى الحديث الى نفسها بصوت خفيض) .

ويتقدم القارب بين الأشجار ، وبين أشجار السرو الكبيرة التى تنبت فى الماء الأسود .
آه ! كم أشعر بأنى رومانتيكية .

(تقرص أذنيها بقوة ثم تهوى بيديها الاثنين فى مستوى وجهها) .

الأذنان محمرتان كل الاحمرار واليدان بيضاوان ناصعتا البياض كأية سيدة من البيئة الراقية .

(يدخل جيريمى من اليسار ، وهو زنجى وخطه الشيب فى ثوب الخدم الأزرق الرسمى ذى الأزرار الكبير النحاسية) .

جيريمى : ماذا تعملين هنا يا آنسة ليزا . لو رأتك السيدة لشدتك من شعرك .

اليزا : فلتعلم أيها الزنجى أن أحدا لم يشدنى من شعرى قط فى بونافيتور ، ولو رأتنى السيدة هنا لقلت لها الحقيقة وهى أنى أقوم بتنظيم « الصالون » .

(تنفض مخدة بأن تضربها عدة ضربات بيديها) .

وهذا نظرا لاستقبال بعض الشخصيات ذات المكانة هذا المساء .

جيرمي : السيدة ريولو وابنتها هما من ذوات مكانة . وكذلك الكولونيل شاتار والشاب ماكلور . كل هؤلاء من ذوى المكانة ، أما الملازم الأجنبي فلا أدرى .

اليزا : وكذلك الملازم الأجنبي . قبل كل شيء لن يدعى اذا لم يكن هو أيضا مثل الآخرين . فنحن لا نستقبل هنا سوى ذوى المكانة . أنت لا تفهم شيئا فى هذه الأمور .

جيرمي : لعله من ذوى المكانة الأجنبية ، ذلك الملازم !

اليزا : لا وجود لذوى مكانة أجنبية ، ولا وجود لسوى مكانة فى ذاتها وكفى . قم بتسوية المقعد الهزاز يا زنجى .

جيرمي : سمعا يا آنسة ليزا .

(يطيعها) .

يقولون فى حقول القطن ان الحرب ستقوم .

اليزا : السيدة واثقة من أنها لن تقوم . ومفروض أنها تحيط علما بالموضوع أكثر منك .

جيرمي : يقول العم جون ان الله سيبعث بأمارة، وما الأمارة؟ أهى معجزة من أجل الزنوج ؟

اليزا : العم جون رجل عجوز مخرف • لن تقوم الحرب • كل شيء سيظل على حاله • هل تفهمني ؟

جيريمي : نعم يا آنسة ليزا ، ولكنني أشعر بالخوف • لم أستطيع أن أقفل عيني منذ ثلاثة أيام • هناك كثرة غالبة من الزنوج تتحدث عن الفرار • سيدى لا يعرف ذلك • هم في رعب ، وهم أيضا يشبهون الخراف أمام العاصفة • أعتقد أنني سأقع ميتا عند سماعي أول طلقة مدفع •

اليزا : أتريد أن تهرب ؟

جيريمي : لا • لم أقل هذا • ثم ان هذا صعب وقد صرت شيخا ، ولكنني لا أحتمل العيش على خوف • ليس عندى شجاعة •

اليزا : منذ لحظة كنت أشك في ذلك • ولكن مم تخاف اذن أيها الزنجي ؟ اذا قامت الحرب فلست أنت الذى تحارب •

جيريمي : طبعا ولكن في آخر الأمر الزنوج دائما هم الذين يدفعون الثمن •

اليزا : هراء كل هذا • ارجع الى حجرة الخزين يا جريمي •

(تمشى نحوه ويهرب هو من ناحية باب اليمين .

جيريمى : (قبل أن يختفى) حديثك حلو كحديث البيض ، يا آنسة اليزا ! ولكنك من جنسنا ؟ عندما تموتين تدفنين معنا نحن .

اليزا : هل لك فى أن تنصرف !

(يختفى جيريمى . وتدور اليزا نحو المرآة الكبيرة وتربت على شعرها) .

يكاد يكون منسابا ، سوى بعض التموجات هنا وهناك . سيسرنى أن تشده سيدتى . عندئذ سأضع لها السم كما وضعوه لأمها . يا لهذا الغبى العجوز جيريمى . . .

(أنجيلينا تدخل فجأة من ناحية اليمين) .

أنجيلينا : ابعدى يا اليزا . أريد أن أبقى بمفردى .

اليزا : حسن ، يا آنسة .

(تخرج من ناحية اليسار ويدخل فيشفسكى من ناحية اليمين) .

يان : أنجيلينا ، ماذا فى الأمر ؟

أنجيلينا : لا شىء ، بل لا شىء على الاطلاق .

يان : ولماذا انصرفت ؟

أنجيلينا : لم أعد أحب أن أسمع ما يقولونه ؛ هذا هو كل ما فى الأمر .

يان : هل أنت خائفة ؟

أنجيلينا : لا تكن هزأة ، فأنا لا أخشى شيئا . ولكننى فى بساطة أشعر بالضيق من وجودى بينهم .

يان : السيدة ريولو تبالغ كثيرا حتى ليبدو أنه يسرها تضخيم الأنباء السيئة التى تثير القلق ...

أنجيلينا : السيدة ريولو تقلقنى تماما ؛ أولا أنا متأكدة أنه لن يحدث شيء . منذ طفولتى وأنا لا أسمع سوى الحديث عن كوارث متوقعة كل لحظة . اليوم يتحدثون عن الحرب . بالأمس كان الحديث عن ثورة الزنوج التى يهددون بها الجنوب منذ ربع قرن . كل هذا يضايقنى ولا يحدث شيء . ألم تلحظ ؟ منذ وجودى على ظهر الأرض لا يحدث شيء . هل تستطيع فقط أن تتصور وقوع أى شيء هنا ؟ نحن نعيش فى طرف الدنيا.

يان : ليس هذا سببا .

أنجيلينا : فى رأيى أن هذا سبب ، فلا بد من ساعة فى العربة كى يصل المرء الى أقرب مدينة . أحب وجود هذه المسافة ... ثم ان البيت فى مكانه منذ

أكثر من ثمانين سنة • وكلما مضى زمن على قيام الأشياء فى ماكنها واتتها فرص أوفر للبقاء • يقال ان أرض المزرعة ارتفعت عن مستواها القديم وأنا أعتقد أن الجدران هى التى انغرست فى الأرض كما لو كانت تحمى نفسها ضد العدو •

يان : أتعتقدين أنك مهددة ؟

أنجيلينا : اننا دائما مهددون بأمر ما • أوه ! أنا لا أعنى هذه الحرب أو هذه الاشاعات العابثة الرائجة عن ثورة العبيد • ولكن يكفى أن يكون البيت جميلا وأن نعيش فيه على نحو ما نحن عليه كى يظهر شىء يهدف الى تحطيمنا • فوجودنا نفسه نوع من التحدى فى هذا الجنوب • لا يمكنك أن تفهم • فقد أتيت من مكان آخر •

يان : لقد أتيت من بلاد محاها التاريخ لأن وجودها ربما كان يحمل معنى التحدى •

أنجيلينا : أوه ! ــ أنت لا تعرف الجنوب • لن يستطاع محو الجنوب • لو قامت الحرب وانهزمنا لكان انتصار الشمال نوعا من الانتحار بالنسبة الى أمريكا كلها لأن أفضل ما يوجد على الأرض الأمريكية هو نحن •

يان : أجد هذا فريدا جدا أن تشعرى برغم كل شىء بعبء التهديد دون اعتقاد فى الحرب .

أنجيلينا : لعل هذا تهديد الموت .

يان : فى مثل سنك تتحدثين عن الموت . . .

أنجيلينا : أنت تحسبنى ابنة صغيرة حتى انه لا تخطر ببالها فكرة الموت .

يان : اذن هل تفكرين فى الموت بعض الأحيان ؟

أنجيلينا : لا ونعم . أحيانا . هناك أيام أقول فيها لنفسى عندما تمشط الزنجية شعرى « انت تمشطين ميتة » . هى فكرة مخبولة تخترق عقلى لسبب لا أعلمه . الواقع اننى لا أعانى كثيرا من هذا . وانما الموت للآخرين .

يان : واذا حدثت كارثة ، كارثة حقيقية ؟

أنجيلينا : لا أعرف ما هى الكارثة .

يان : يبدو أنك لا تعرفينها اطلاقا . أود أن أتحدث اليك يا انجيلينا . منذ برهة قلت شيئا أدهشنى عن الشعور بالتهديد .

أنجيلينا : أوه — لا أشعر بهذا دائما . فى العادة يحدث هذا عندما يهبط الليل .

يان : كهذه الليلة مثلا . . .

أنجيلينا : آه ! دعنى وشأنى يا ملازم فيشفسكى . خير أن تعود الى الشرفة . فأنا أكره هذا الحديث .

يان : أنجيلينا اننى لم أعاملك قط على أنك فتاة صغيرة . اذا كنت قد سعيت لأحدثك على انفراد فذلك أن لدى شيئا هاما أريد قوله لك .

أنجيلينا : (فى شىء من الغرور) تقوله لى أنا ؟

يان : نعم بالتأكيد . أنت . ولكن قبل أى شىء أرجوك أن تسمحى لى بأن أسألك سؤالا . هو سؤال حساس . ولذلك أتردد .

أنجيلينا : اننى أسائل نفسى عما يمكن أن يكون الأمر .

يان : لا بد أن أعترف لك بشىء أنا على ثقة أنه لن يرضيك اطلاقا .

أنجيلينا : ها أنت ذا تخطرنى . . . .

يان : هل تعدين بأن تسامحينى ؟

أنجيلينا : نعم .

يان : متأكدة ؟

أنجيلينا : أنت لا تحتمل يا ملازم فيشفسكى .

يان : عندما كنت تتحدثين هنا منذ برهة مع الآنسة ريجينا دخلت كما تذكرين لابلاغكما أن مسز استرونج كانت فى انتظاركما أنتما الاثنين بالشرفة.

أنجيلينا : نعم ، وماذا فى الأمر ؟

يان : بالرغم منى سمعت جانبا من حديثكما .

أنجيلينا : لقد كنت واثقة من ذلك يا ملازم فيشفسكى أنا أبغضك .

يان : لقد وعدتنى بأن تسامحينى .

أنجيلينا : لقد سامحتك ولكنى أبغضك . فهذا كما لو كنت تنصت خلف الأبواب مثل عبد .

يان : أنا لم أكن أنصت ولكننى سمعت برغمى . كان الحديث عن اريك ماكلور .

أنجيلينا : لم يكن هذا يخصك .

يان : اذا كنت أتكلم عن اريك ماكلور يا انجيلينا فلأنى سمعت برغمى جملة قلتها الى ريجينا بشأن رسالة كتبها اليك .

أنجيلينا : وماذ فى الأمر . بمجرد سماعك لهذه الجملة التى لا تخصك كان عليك فى التو أن تغادر الغرفة أو أن تخبرنا بحضورك .

يان : بدلا من هذا فضلت البقاء حتى نهاية كلامك .

أنجيلينا : هذا أمر لا يليق .

يان : كان يمكن أن يكون غير لائق اذا أوقفنى مجرد الفضول ، ولكن لدى أسباب أخرى .

أنجيلينا : وما هى من فضلك ؟

يان : سبب واحد سيكون كافيا لك . لن أسمح أن يكتب هذا الرجل رسائل غرام اليك .

(فجأة بغضب)

هل تسمعين ؟

أنجيلينا : هل أنت مجنون ؟

(تنهض) .

بأى حق تحدثنى على هذا النحو ؟

يان : (ينهض هو أيضا) اغفرى لى يا أنجيلينا . قد استسلمت لاندفاعة جزع ! هل صحيح أن اريك ماكلور كتب اليك رسالة غرام ؟ ألم يكن ذلك حلما كتلك الأحلام التى نراها جميعا ومثل تلك التى اعتقدت فيها الآنسة ريجينا ؟ كما ترين يصعب على المرء أن يتصور أن شابا فى مثل هذا الوقار بل وفى مثل هذه القسوة يتغزل فى فتاة

صغيرة فى السابعة عشرة من عمرها .

أنجيلينا : ليس لدى ما أفضى لك به من شروح ؛ وأشعر أنك سفيه وهزأة .

يان : ستحكمين على بقسوة أقل لو عرفت الى أى مدى أعانى .

(صمت)

انجيلينا أنت تعشقين اريك ماكلور .

أنجيلينا : فيم يهمك ذلك حتى لو كان صحيحا ؟

يان : انه يصيبنى فى صميم قلبى . . .

(يدور الى الخلف ، ويخطو قليلا نحو الشمال .. ثم يعود الى جانب انجيلينا ، وبعد تردد) .

لأننى أحبك .

(أنجيلينا تتراجع خطوة وتنظر اليه مليا) .

أنجيلينا : لماذا تكذب يا ملازم فيشفسكى ؟ أنت تعرف جيدا أنك لا تحبنى .

(تتجه بسرعة نحو اليمين ، وتخرج . فيشفسكى يبقى بلا أى حراك . بعد بضع لحظات يدخل ادوارد من ناحية اليمين .

بروديريك : ماذا جرى ؟ لقد قابلت انجيلينا وكانت تبدو مضطربة كل الاضطراب .

يان : لا أدرى ماذا جرى لها .

بروديريك : (وهو يجلس) ـ من المحتمل أن تكون مناقشتنا فى الشرفة قد أهاجتها . لا أحب أن يتحدث أحد أمامها عن الحرب . آه ! كم أود أن تنتهى هذه الليلة . لا أحتمل ما نحن عليه من حال مريبة ، وربما يكون سماع طلقة مدفع نوعا من العزاء .

يان : قد لا نسمعها أبدا .

بروديريك : لقد كنت دائما أكثر تفاؤلا منى .

يان : لست متفائلا . بل على نقيض ذلك أخشى أن يخيم علينا ظلام .

بروديريك : عندى هذا الشعور منذ أسابيع .

يان : أما أنا فعندى هذا الشعور منذ ساعة .

بروديريك : منذ ساعة ؟ هل بلغك جديد ؟

يان : أبدا لا شىء . هناك أمر آخر لا يتعلق بالحرب . لا أدرى كيف أشرح ما أريد أن أقوله . . .

على أنى أريد أن أتكلم عن ذلك مع انسان ، لدى رغبة فى التخلص منه كما نتخلص عادة من حلم بروايته للآخرين ، ولكن لا أستطيع أن آمل فى أن يفهمنى الناس . منذ لحظة تغير كل ما بنفسى .

بروديريك : هل تعتقد أننى لم أفطن الى ذلك ؟ لقد ظهرت مضطربا كل الاضطراب منذ برهة .

يان : منذ برهة ؟

بروديريك : نعم ، عندما دخل ماكلور الشاب الى هنا .

يان : لعل مرد بعض الاضطراب الى شىء من هذا . أعنى أنه قد حدث نوع من التوافق فى الواقع بين لحظة دخوله هنا واللحظة التى تملكنى فيها هذا الشعور المفاجىء .

(صمت)

بروديريك : وبعدئذ يا يان ؟

يان : حينما ظهر فجأة من هذا الباب ، رأيت عن شماله والى ورائه بقليل شخصا .

بروديريك : ربما كان أحد الخدم .

يان : لا . بل رجلا فى ملابس جندى ويلبس مثل

ملابسى ولكن وجهه مغطى بملاءة سوداء أو بشىء يشبه الملابس التى تبدو كما لو كان أحد قد ألقاها على وجهه .

بروديريك : حقا لا شى يدهشنى فيما حسبت أنك رأيته فى ضوء الغسق . فمثل هذه التخيلات ممكنة فى نحو تلك الساعة من النهار فى مناطقنا هذه .

يان : لا . لقد أحسست فى أعمق أعماقى أن هذا كان حقيقيا . فالرجل لم يكن يتحرك وبعد ثوان اختفى .

بروديريك : ألم أكن محقا حين قلت لك انه مجرد وهم ؟

يان : (كما لو لم يسمع) وانما اختفى ريثما أتيحت لى رؤيته . لقد أفضى برسالته ورحل .

بروديريك : رسالته ؟ يان ليس لما ترويه معنى .

يان : كان لهذه الأشياء معان عندنا فى الوطن القديم . لقد كان الرجل فى مثل قامتى ويلبس كما ألبس .

(صمت)

بروديريك : أنت بقيت لحظة على انفراد مع ماكلور .

يان : على انفراد مع ماكلور . . .

بروديريك : لقد وجدتكما سويا على انفراد فى هذه الغرفة • فيم كنتما تتحدثان ؟

(يان ينظر اليه) •

معذرة • يجوز أنه أخبرك بما يعتقده بشأن الأحداث وبشأن وضعه حيال الشمال والجنوب • • •

يان : فى الحقيقة لم أعد أدرى عم تحدثنا • فليس لهذا أهمية •

بروديريك : لقد كان تعبير وجهك غريبا •

يان : ممكن • ولقد قلت لك السبب منذ دقيقة •

(صمت)

بروديريك : هل أنت مصمم دائما على الرحيل غدا عند الفجر ؟

يان : لقد تلقيت أمرا بذلك يا سيدى •

بروديريك : كن واثقا أن كثيرا من مثل هذه الأوامر ستمزق الليلة ويلقى بها الى الريح •

(صمت)

لن يكون عدم الطاعة مدعاة للعار • اذا كنت فى شك من ذلك فدعنا نسأل أريك ماكلور عن

شـــعوره ؟ يمكنه أن يتحـدث معـــك اذا لزم الأمر • • •

يان : لا • واعذرنى فى صراحتى التى أكلمك بهـا • لا أريد أن أرى هذا الرجل •

بروديريك : لا أفهمـك يا صـديقى • ولكنك سـتراه بحكم الموقف بعد لحظة •

يان : لقد أخطأنى التعبير بلا شك • كنت أريد أن أقول اننى لا أود رؤيته على انفراد •

بروديريك : ولكن لمـاذا ؟ اجلى يا يان • قـل لى • ماذا فى الأمر ؟

يان : لا • اســمح لى أن أحتفظ بالصمت فيمـا يتعلق بالمشاعر التى لا تتعلق بأحد سواى • سوف أرحل غدا عنـد الفجر كما قـررت • ولتكن مشيئة الله ألا يتلاقى طريق هذا الرجـل مع طريقى فـوق هذه الأرض •

بروديريك : لا أريد أن أسائلك ، أى يان ! ولكن عمرى يكاد يكون ضـعف عمـرك • وعشت وعانيت • وليس من المستحيل أن يمكننى فهمك •

يان : ماذا تريد أن تقول ؟

(صمت • ادوارد برودبريك ينظر الى فيشفسكى) •

برودبريك : هل مر بخاطرك أننى أدرك ما يجرى فى باطن نفسك ؟

يان : أوه ! سامحنى ولكنى أشك فى ذلك • عندما يكون لى سر فاننى أحافظ عليه جيدا •

برودبريك : لديك سر اذن ؟

يان : (هازا كتفيه) من الذى ليس عنده أسرار •

برودبريك : أنت على حق • لقد عشت بسرى كهم يقرض لحمى • كنت مسعورا لمعرفة نفسى • كنت أريد أن أعرف وعرفت • وليتنى لم أعرف • فلو بقيت أجهل نفسى لاحتفظت ببعض الأوهام الضرورية• كنت أرى نفسى طيبا ولم أصبح سيئا الا قليلا قليلا •

يان : سيئا ؟ الجميع يعتقدون فى طيبتك •

برودبريك : أوه ! الجميع • • • الجميع يخطئون فى يسر • لقد أثر فى الحقد وانقشاع الوهم والشعور بالحرمان من شبابى كما لو كان ذلك سما بطيئا خفيا • لقد كنت أرغب أكثر من مرة

فى أن أفضى بذات نفسى الى شـــخص ما .
اليك .. نعم يا يان .

يان : لا ينبغى هذا .

بروديريك : لمـاذا ؟

يان : قد تندم على ذلك فيما بعد ، وعندئذ ستريد بى السوء . قد يكون السكوت خطأ فى بعض الأحيان ولكن الخطأ يكون أكبر اذا تكلم المرء بعد فوات الأوان .

بروديريك : كيف تعرف ما سأقوله لك ؟

يان : لقد خمنته ولا أريد أن أسمعه .

(صمت)

بروديريك : تخفى حكمك علىّ فى قلبك .

يان : لا .

بروديريك : أحسب أنك لن تجـرؤ على ذلك فى الواقـــع . عندما قلت لى منـذ برهـة أنك لم تكن ترغب فى الانفراد باريك ماكلور جال بخاطرى ...

يان : (بصوت حاد) اذن فلتقل .

برودبريك : (مترددا) جال بخاطرى انك كنت خائفا . . . خائفا من نفسك أو منه هو ..

يان : (ضاحكا) خائف ! ـ أنا ، أو أخاف ؟

(غاضبا فجأة) .

هل يمكنك أن تخبرنى مم أخاف ؟

برودبريك : (ينهض ويتجه نحو فيشفسكى) ـ افهمنى . لقد جال بخاطرى نفس الاحساس الذى جال بخاطرك عند رؤيتك هذا الشاب يدخل هذه الغرفة .

يان : أتمنى أن أعتقد فى كلامك والا فكيف يمكننا أن نظل يرى أحدنا الآخر ؟

(يدور ثم يخطو بضع خطوات نحو الشمال) .

هل تعرف لماذا لا أريد منذ الآن أن ألقى هذا الرجل وجها لوجه ؟ لقد سألتنى هذا السؤال وسأخبرك بالسبب : لقد احتل المكانة التى كنت أتمناها لنفسى فى قلب شخص بهذا البيت .

برودبريك : أريك ماكلور ؟ لم يقض أكثر من بضع ساعات فى هذا البيت .

يان : هل تعتقد أن ذلك لا يكفي ؟

بروديريك : أعترف بأنني أجد بعض الصعوبة في فهمك • لم تكن ريجينا هنا عندما حضر قبل عيد الميلاد بقليل • ثم ان فكرة أن تكون مولعا بريجينا فيها شيء من •••

يان : ليس الأمر متعلقا بريجينا •

بروديريك : لا أستطيع حتى أن أفترض أن الأمر متعلق •••

يان : بلى •

بروديريك : بابنتي يا يان ؟ هل تريد أن تقول ان انجيلينا مولعة باريك ماكلور ؟

يان : أريد أن أقول انني أحب ابنتك انجيلينا وانني أطلب منك شرف الموافقة على منحى يدها •

بروديريك : يان • • هذا مستحيل •

يان : (برقة شديدة) ـ هذا مستحيل لماذا ؟ سوف تحبني كما أحبها •

(يدور بحيث لا يستطيع ادوارد بروديريك أن يرى وجهه) •

بروديريك : يان • • لو كنت تحب انجيلينا •••

يان : (ينظر اليه مواجهة) فماذا اذن ؟

برودبريك : كان يمكننى أن أخمن أو أن أشعر به • اذا كان فى امكان أحد أن يشعر بذلك فهو أنا • فيم تفيد المداراة ؟ أنت لا تحب ريجينا ولا تحب ابنتى ولن تنقذ نفسك بالزواج من ابنتى • هل تحب أن أخبرك عمن تحب ؟

يان : لا •

برودبريك : بعد كل ما قلته لى منذ برهة ••• كيف لا أجد فى كلامك اعترافا ؟ وكان من المستحيل الا أخمن ذلك • لا يفلت المرء من مصيره يا يان ! ولن يفلت من مصيره ذاك •

يان : أنت ترفض الموافقة على طلبى يد انجيلينا •

برودبريك : من أجل سعادتها وسعادتك ليس لى الحق أن أمنحك يد ابنتى •

يان : انك لن تراني بعد اليوم يا ادوارد برودبريك •

(صمت)

برودبريك : يان • أعتقد أنك كنت محقا منذ قليل • من الأفضل ألا تراني منذ الآن • توجه الحياة الينا أحيانا من الأسئلة ما لا نملك الاجابة

عليه • لسوف ترحل غدا عند الفجر • سوف أسمعك وأنت ترحل ولكننى لن أنهض لوداعك•

(يخرج من ناحية الشمال • فيشفسكى لا ينظر اليه ويظل بلا حراك • بعد بضع ثوان يدخل جيمى جريا من ناحية الشمال)

جيمى : ألن تأتى الى الشرفة يا ملازم فيشفسكى ؟ الكلام الذى يقولونه عن الحرب ممتع جدا •

يان : (بدون أن ينظر اليه) سوف أحضر بعد لحظة يا جيمى •

جيمى : ستأتى حقا ؟ لماذا لا تنظر الىّ ؟

يان : هل تكرهنى بسبب ما حدث منذ وقت قصير ؟

جيمى : لعلك تريد أن تمزح • من المؤكد أننى لا أكرهك • ولكنك قد أوجعتنى ، أو تدرى ؟!

يان : أنت طفل شجاع • لم تصرخ • وأنا أيضا لم أكن أصرخ عندما كنت فى مثل سنك • كنت أشعر بالفخار لعدم فك أسنانى • أريد أن أقول لك شيئا • تعال نجلس هناك •

جيمى : أنا أجلس ؟ لا تفكر فى هذا • اجلس أنت اذا شئت • أما أنا فلا أستطيع •

(يضحكان) •

يان : واذن سنبقى واقفين .

(يبقيان صامتين لحظة) .

جيمى : لماذا لا تتكلم معى يا ملازم فيشفسكى .

يان : كنت أفكر . غدا لن نخرج للنزهة معا يا جيمى . لا بد أن أغادر المزرعة فى وقت مبكر .

جيمى : ومتى تعود ؟

يان : لا أدرى . اسمع يا جيمى . يجوز أن تقوم الحرب ونحن لا ندرى ما يمكن أن يحدث لنا . لا أخشى شيئا بشأنك أما أنا فالأمر مختلف : فأنا جندى . ولذلك سيودع كل منا الآخر هنا بوصفنا رجلين ولكن قبل هذا سأطلب منك شيئا .

جيمى : تطلب منى شيئا ؟

يان : نعم . هناك سؤال سأسأله لك . أصغ جيدا . لو قال لك أحد . . . هذا مجرد افتراض — لو قال لك أحد اننى مولع باختك ، فماذا تعتقد ؟

جيمى : أنت . . . مولع بانجيلينا ؟

يان : نعم . . . لو قيل ذلك ...

جيمى أوه ! — سأجد هذا غريبا . يالحمق هؤلاء

العشاق ! ـ ثم اننى لا أستطيع أن أتصور أنك مولع بانجيلينا • لا أدرى لماذا • •

يان : هل لك أن تفكر لحظة فى ذلك ؟ سأساعدك • أهذا بسبب انجيلينا ؟ أليست أنجيلينا جميلة فى نظرك ؟

جيمى : أوه ـ لا بأس بها •

يان : اذن سيكون ذلك بسببى أنا ، أن ترى غرابة فى الأمر ؟

جيمى : لا أعرف • لا أستطيع أن أتصور •• لعلك تعرف أن الحب عندى هو نوع من البله •

(صمت • يخطو جيمى خطوة نحو فيشفسكى ويأخذ يده) •

لن ترحل ياملازم فيشفسكى • لن ترحل الى الأبد ؟

(فيشفسكى يخلص يده فجأة ويتراجع خطوة) •

يان : لن تذكر ذلك بعد ثمانية أيام • هيا ولا تقطب جبينك على هذا النحو وكن رجلا • استمع الى ، لقد قلت منذ لحظة شيئا بهرنى • أنت محق فى اعتقادك أن الحب نوع من البله • ولا يستثيرنا

مع الأسف . لا يمكنك أن تفهم ذلك ولأنك لا تفهم ذلك سأفضى اليك بسر . بسرى أنا . هل تعدنى بالاحتفاظ به طول حياتك ؟

جيمى : نعم أعدك بذلك .

يان : لا تسألنى أى سؤال . على أن هذا لن يجدى لأننى لن أجيب . ولكن فيما بعد ، بعد زمن طويل جدا عندما تصبح فى العشرين ، وربما حين تصير متقدما فى السن بعض الشىء ، فتكون فى الثلاثين من عمرك ستذكر ما سأقوله لك وعندئذ ستفهم . لن تقول « لقد أخطأ وارتكب غلطة » . ستقول لنفسك ببساطة أن المصير قد أقحم نفسه فى صراع ضد رجل . . .

جيمى : المصير ؟

يان : نعم ما لا يمكن تحاشيه ولا يمكن تغيير شىء فيه . وهكذا لن تستطيع فى الواقع أن تغير شيئا من ميلادك فى هذه البقعة من مقاطعة الكارولين الجنوبية يوم . . .

جيمى : فى العاشر من مايو سنة ١٨٤٦ .

يان : العاشر من مايو سنة ١٨٤٦ . وحتى عندما تتمنى

أن يكون ميلادك مائة سنة قبل هـــذا أو عشر سنوات بعد ذلك فى نيويورك أو فى سان بطرسبورج فهذا محال . ان الزمن والمكان قد سبق اختيارهما ولكن لست أنت صاحب الاختيار . وكذلك أنت ولد ولست بنتـا . لم يستشرك القدر مادام هـو المسئول على وجه التحديد . واختار كذلك أبويك وجديك وأصـــدقاءك الذين يحـوطونك وحتى العبيـــد الذين يخدمونك . . . كل أولئك الذين يستطيعون عن بعد أو عن قرب وفى الزمان أو فى المكان أن يؤثروا فى ارادتك . . .

جيمى : هل يهتم القدر بى الى هذا الحد ؟

يان : لاتستطيع أن تعرف الى أى حد يهتم بك ياجيمى . انك تهمه كما لو كنت وحدك فى العالم ، ضع فى حسبانك أن أحدا لا يكلمك وأنك لا تكلم أحدا الا باذنه . . .

جيمى : اذن أنا لا أعمل أبدا ما أريده ؟

يان : بلى ، أنت تفعل ما تريد لأن القدر يحترم حريتك بحيث لو تمثل فى صورة رجل أمامك لأمكنك أن تضربه كما ضرب عساكر الرومان المسيح .

جيمى : لمـاذا تقول لى ذلك ؟

يان : (بعد فترة من الصمت) ـ لا أعرف • ليست هذه ليلة كالليالى الأخر • لعلى لم أتكلم مع أحد قط كما أكلمك الآن وعليك أن تحاول الاستمساك بما أقول • فى بعض الأحيان تصبح حرية الانسان عبئا فادحا ويصبح الاختيار غير ممكن • آه ـ يارب لماذا خلقت هكذا ؟ رب أيام تمنيت فيها أن أكون أحد هؤلاء التعساء من السود الذين يتغنون فى أسى وسط حقول القطن أو خادما فى مزرعة باحدى دول الشمال • • •

جيمى : هل أنت متردد فى الاختيار بين الشمال والجنوب؟

يان : لا يا صغيرى • ليس هذا ما أقصد •

جيمى : قالت الخالة ايفيلين اذا قامت الحرب فسينزعون منك ملبسك الرسمى الذى تحمله وسيعطونك بدلا منه الملبس الرسمى الذى يحملونه عندنا •

يان : لقد قلت لك ان هذا ليس هو الموضوع • هل تصغى الىّ لحظة ؟

جيمى : مؤكد •

يان : أنا محب واله يا جيمى • حبى لم يحدث مثله لأى مخلوق بشر قبلى • كل الناس يقولون هذا

بلا شك ولكن كل منهم محق • لم أعد قادرا على أن أعيش •

جيمى : لم تعد قادرا على أن تعيش ـ ولكن لماذا ؟

يان : لأن الشخص الذى أحبه لا يمكن أن يبادلنى الحب •

جيمى : وكيف تعرف ذلك ؟

يان : كيف أعرف ذلك ؟ سؤالك يدل على الذكاء العظيم • أعرف ذلك لأننى أعرفه • هذا كل ما فى الأمر • لمحة بالعين كانت كافية لكى تتراءى لى سنوات طويلة من الشقاء غير المجدى •

جيمى : ليس عليك الا أن تكف عن التفكير فى ذلك • وليس عليك الا أن تمتنع عن رؤيتها ، تلك المرأة •

يان : ليس الأمر بسيطا الى هذا الحد يا جيمى • بالنسبة اليها أو بالنسبة الىّ كان الأفضل ألا تكون قد ولدت • لو كنت فى الحرب لما تراجعت أبدا أمام نيران العدو ولكننى أخشى أن أتراجع الليلة أمام العذاب •

جيمى : ماذا ستفعل ؟

يان : أغرب شيء في حياتي كلها . . .

(يبتعد بضع خطوات ويذهب الى الشباك . يبدو كما لو كان يتحدث الى نفسه) .

. . . سألقي نفسي ضد مصيري كما يلقي المرء بنفسه في وجه جدار .

جيمي : ماذا تقول يا ملازم فشفسكي ؟

يان : لا شيء . كنت أفكر بصوت مرتفع . من الأفضل ألا تعرف ما يفكر فيه الناس يا جيمي . فهذا يبعث على الحزن دائما أو على الخجل . لا أشعر بالخجل ولكنني وحيد . أشعر بأنني وحيد ، وحدة مرعبة .

جيمي : ولكني هنا . . . انك لتقول أشياء غاية في الغرابة هذه الليلة .

يان : هذا صحيح . كان ينبغي ألا أتكلم . من الواجب ألا أتكلم أبدا . كل شيء يردنا الى ذواتنا عندما نفتح أفواهنا .

جيمي : اذن فأنت عاشق لأنجيلينا ؟ لماذا لا تتزوجها ؟

يان : (رافعا كتفيه) ـ أو لا يجب أن تعشقني هي ...

جيمى : أوه ! هذا الذى . . .

يان : بالاختصار ، كل ما فهمته وكل ماا حتفظت به من محادثتنا كلها هو أننى أعشق أنجيلينا ؟

جيمى : طبعا . . نعم . ألم يكن هذا ما أردت أن تقوله ؟

(صمت)

يان : (هامسا) ـ أنجيلينا . . . من يدرى ؟ من الجائز أن ذلك كان من أجل نجاتى .

جيمى : لماذا لا تتكلم يا ملازم فيشفسكى ؟ لست فى حالتك الطبيعية .

(يقترب منه قليلا) .

ألا تريد أن تروى لى قصة . . . قصة من بلادكم ؟

يان : قصة من بلادنا ؟ بلى . سوف أقص عليك واحدة . كان يسكن فى بولونيا حوالى سنة ١٧٢٠ غلام اسمه يان .

جيمى : مثلك ؟

يان : نعم مثلى . وكان أخا لوالد جدى .

جيمى : اذن فتلك قصة حقيقية ؟

يان : بلا أدنى شك • ستذهب لتنام اذا قصصت عليك قصتى • هل تعدنى بذلك ؟

جيمى : قال أبى يمكننى أن أبقى حتى أول جرس للعشاء •

يان : ستصعد الى غرفتك ولن تختفى وراء السلالم كما تفعل دائما عندما يكون بالبيت زوار ؟

جيمى : لا • أعدك بهذا • أكمل قصتك •

يان : ليكن ! كان يان يلبس زى السادة من قلنسوة من الفرو وبدلة من القطيفة المطرزة بالفضة وأحذية من الجلد الأحمر • وكان يملك قصرا بالمدينة وحصنا كبيرا بالريف •

جيمى : كم أتمنى أن يكون عندى أحذية من الجلد الأحمر •

يان : وكان يان يملك كذلك عددا كبيرا من عبيد الأرض ، الأرقاء البيض •

جيمى : من الأرقاء البيض ـ سيكون شعورى غريبا باصدارى أوامر الى عبيد بيض • فالعبد يجب أن يكون أسود •

يان : لقد كان يان صغيرا وكان يملك كل ما يتمناه رجل بالعالم . وبرغم ذلك كان كما لو لم يكن يملك شيئا لأنه حرم السعادة . كان مثلى كان عاشقا .

جيمى : شيء جميل ! . . . كل الناس واقعون فى الغرام . . .

يان : أما هذا فقد كان مولها بالحب حتى أنه فقد العقل . فعندما رأى أن الشخص الذى يحبه لايريد حتى أن ينظر اليه ، انقض عليه وقتله .

جيمى : لماذا ؟

يان ربما كان يعتقد أنه سيكف بذلك عن العشق والعذاب .

جيمى : ولم يعاقب بشيء ؟

يان : لا . . لا شيء .

جيمى : كان عليه ألا يقتل الشخص ما دام لم ينله بشيء .

يان : لقد كان الأمر أقوى منه يا جيمى . رب لحظات يرتكب فيها الناس أفعالا رهيبة بغير أن يستطيعوا كبح أنفسهم .

جيمى : أما هنا فكانوا سيعاقبونه بالشنق .

يان : لم يكن أحد يستطيع أن يلمس سيدا بسوء فى ذلك الوقت . ولكن وقع شيء لم يكن يتوقعه وهو أنه ظل فى عشق جارف للشخص الذى قتله .

جيمى : آه ؟

يان : نعم ، على مدى سنوات وسنوات . وفى يوم من الأيام حدث هذا الأمر : ان القدر التقط يان فى قبضته القوية وسحقه سحقا .

(يسمع صوت الجرس وهو يدق وقتين بينهما مسافة) .

جيمى : سحقه ؟

يان : هل سمعت الجرس ؟ اصعد . ولكن قبل ذلك صافحنى ، وقل الى اللقاء يا ملازم فيشفسكى .

جيمى : (مادا اليه يده) ولكن ماذا حدث ليان ؟ وما معنى أن القدر سحقه ؟

يان : ليس عندى الوقت لأشرح لك هذا ولكن الحياة ستريك كيف أن القدر ولوع بسحق الناس . أنظر الى يا جيمى ، لتصعد ، لتنام . هل تعدنى ؟

جيمى : نعم يا ملازم فيشفسكى .

يان : (مصافحا اياه يدا ليد) الى اللقاء يا جيمى .

جيمى : الى اللقاء يا ملازم فيشفسكى .

(يخرج من ناحية الشمال ويلتفت خلفه قبل أن يختفي . الملازم فيشفسكى يخرج من ناحية اليمين) .

« ستار »

* * *

الفصل الثالث

المنظر الأول

(نفس المنظر السابق ولكن «الصالون» مضاء بثريا كهربية . تدخل من ناحية الشمال ببطء السيدة ريو لو وابنتها . ومسز استرونج تتبعها ريجينا وأنجيلينا ثم ماكلور والملازم فيشفسكي وأخيرا ادوارد برودبريك والسيد العجوز هوايت) .

السيدة ريولو : اذا شئت رأيي فاني أعتقد أن مواجهتنا للموقف سيئة . نعم . سيئة . أنا لا أود تجريح أحد ولكن طلعة وجوهنا كئيبة .

ادوارد برودبريك: لعلك لا تريدين أن نرقص يا ابنة عمي لورا على حين أن الحرب يمكن أن تشتعل من لحظة الى أخرى .

السيدة ريولو : ماذا أحكي لك ؟ لقد تناولت العشاء منذ ثلاثة أيام في مزرعة على بعد ساعة من هذا المكان عند آل بوشان ولا أذكر أسماءهم لك . وشهدنا بعد العشاء حفلا راقصا امتد حتى الفجر . ومنذ سنة ١٨٥٠ لم أر شيئا بهذه الروعة . لقد تجمعت هناك

زهرة شباب الجنوب فى قاعاتها الشاسعة المذهبة التى كان الحكام الانجليز يقيمون بها حفلاتهم الماجنة فى الزمن السالف • تصور هذا يا ادوارد : بين جدران تلك القاعات التى شهدت الضباط العظام ببدلهم الرسمية الحمراء ممن شربوا نخب العجوز المخرف جورج الثالث شربنا نحن نخب الجنرال بوريجار ونخب كل الولايات واحدة بعد الأخرى من التى انفصلت عن الاتحاد مثل ولاية الكارولين الجنوبية والتكساس ذات الراية التى تحمل نجمة واحدة وكذلك ولاية فرجينيا من ممتلكات اليزابيث القديمة •

مسز استرونج : (بصوت منخفض الى ادوارد بروديريك) لقد نبهتك على ألا تعطيها كأسا أخرى من ذلك المشروب القوى •

ماكلور : لن أسمح لنفسى بمعارضتك يا سيدتى • ولكن فرجينيا لم تظهر فى الوجود بعد • وليس سرا بالنسبة الى أحد أن الرئيس لنكولن يود تعيين الجنرال « لى » على رأس جيوش الشمال • • •

السيدة ديولو : ليست هذه سوى أحلام دعاة تحرير الأرقاء أيها الشاب • لقد استولينا على فرجينيا كلها ولن يتغير شىء على الضحكات البلهاء من ذلك القرد العجوز

فى أكفانه ، لست من المعارضين فى الرق ، فيما افترض ؟

ماكلور : من كل قلبى يا سيدتى .

ادواردبروديريك: لقد حرر أريك ماكلور كل عبيده .

السيدةريولو : هذا فظيع . أما أنا فأملك ثلاثمائة . فليقترب أى شيطان ليأخذهم منى .

ماكلور : مع كل الاحترام الذى أدين به لك يا سيدتى اسمحى لى أن أخبرك أنه اذا كان الجنوب سيدخل الحرب فليس ذلك من أجل احتفاظه بعبيده . لقد أطلق الجنرال لى سراح جميع العبيد الذين يملكهم منذ وقت قصير .

مسز استرونج : لماذا نبقى جميعا واقفين كما لو كنا نستعد لالقاء نشيد ؟ هلموا نجلس ودعونا نتحدث عن شىء آخر سوى الحرب . فقد تصدع رأسى بسبب ذلك . ثم أولا وقبل كل شىء لن تقوم الحرب .

السيدةريولو : لم تقم بعد .

مسز استرونج : اجلسى يا لورا . سوف أقدم لك قدحا من القهوة اللاذعة كما يشربها الناس فى اقليم المربع القديم بأورليانز الجديدة .

(تقودها من يدها بلطف الى ناحية اليمين وتجلس معها فى الركن قريبا من منضدة ويحيط بهما الآخرون . أنجيلينا تقود ريجينا نحو اليسار) .

أنجيلينا : ريجينا . أريد أن أقول لك شيئا . أعتقد أننى وقعت فى غرام أريك ماكلور . أنا فى منتهى البؤس .

ريجينا : وحيث كتب لك رسالة غرامية . . .

أنجيلينا : أوه ! ـ رسالات الغرام . . . أولا وهو لم يكتب الى قط .

ريجينا : كيف هذا ؟ وما هذه القصة التى حكيتها لى ؟ هل كنت تكذبين ؟

أنجيلينا : لم أكن أكذب . لقد اعتقدت أنا نفسى أن هذا كله صحيح .

ريجينا : ولكن ما قصصته لم يكن حقيقيا ؟

أنجيلينا : آه ـ أنت لاتفهمين شيئا . هذا غريب . فأنت ذكية ولا تفهمين . شأنك شأن الرجال تماما . أنا بائسة يا ريجينا . لا أعرف كيف أتصرف . لقد أحسست بشىء غريب منذ وقت طويل ومنذ هنيهة شعرت فجأة بأننى أحبه ، أما هو فلا أحظى منه حتى بنظرة .

ريجينا : لا تنظرى اليه أنت كذلك .

أنجيلينا : ولكنه سيرحل غدا صباحا . كم هو جميل فى هذا النور . ياليته يطلب الخروج معى الى الشارع الكبير ، فسوف أقبله هناك . نعم سأقبله . تصورى أن الملازم فيشفسكى أعلن الىّ غرامه قبل العشاء .

ريجينا : الملازم . . .

أنجيلينا : ماذا بك ؟ أوه ! ـ لقد نسيت . سامحينى . لم أصدقه وقلت له ذلك .

ريجينا : أنجيلينا لقد لاحظت الملازم فيشفسكى ابان هذا العشاء الطويل . انه ليس مأخوذا بى ولا بك .

أنجيلينا : ولكنه ليس عاشقا للآنسة ريو لو . أوه ! ـ ها هو خلفنا . يصل دائما دون أن يتوقعه أحد . اهربى اذن .

(تتجه نحو اليمين ولكن ريجينا تظل بلا حراك) .

يان : (يقترب من ريجينا ويبقى على بعد خطوتين خلفها) آنسة ريجينا .

(ريجينا لا تجيبه) .

لا يسمعنا أحد يا ريجينا • اننا بمفردنا من جديد ولكن لآخر مرة • وفى هذه المرة • أنا نفسى الذى أريد أن أقول لك شيئا •

(صمت • ريجينا بلا حراك) •

لقد أتيت أطلب منك العفو •

(صمت • يبقى كلاهما بلا حراك) •

هل تصغين الى ؟ لا أريد أن أرحل بغير أن أطلب اليك الصفح • الوقت يمضى يا ريجينا • ولقد فهمت كل شىء منذ بضع ساعات • أقاسى تماما كما تقاسين وهذه صلة ما بيننا •

(صمت)

ألن تسامحينى أبدا ؟ قولى نعم بصوت منخفض ، وهذا حسبى ، فسأشعر بالاطمئنان وسأمضى من هنا فى سلام •

(ريجينا لا تجيبه) •

لم يعد أمامى الا أن أمد يدى لتلمس يدك • هل تسمحين لى بذلك يا ريجينا ؟

(ريجينا لا تنطق بكلمة وتخرج دفعة من جهة اليسار • فيشفسكى يظل فى مكانه) •

الآنسة ريولو: آمل أن يكون لدى جنودنا ملابس رسمية جميلة. فملابسهم اليوم ذات مظهر جد صارم . ثم كيف يكون شكل علمنا ؟ من المفروض أن تكون لنا رايتنا بمفردنا .

ايريك ماكلور: لقد اقترحوا نماذج مختلفة للأعلام ولكن العلم الذي استأثر بأغلب الأصوات يحمل صليب القديس أندريه باللون الأزرق فوق رقعة حمراء انتشرت فوقها نجوم بيضاء . لكل دولة نجمة .

الآنسة ريولو: أوه ! ـ يخيل الى أنها ترفرف منذ الآن في ميادين القتال .

ايريك ماكلور: أنت تتعجلين الأمور يا آنسة . أو تعرفين أي شيء عن ميدان القتال ؟

الآنسة ريولو: بالطبع أعرفه . لدينا في البيت عدد وفير من اللوحات بمكتبة أبي تمثل الأحداث الرئيسية في حربنا ضد الانجليز . وبهذه اللوحات جميع التفاصيل . ويرى فيها رجال المدفعية وهم واقفون بأماكنهم والمدافع التي تقذف باللهب .

ايريك ماكلور: ومن الجائز موتى وجرحى أيضا ؟

الآنسة ريولو: طبعا موزعون هنا وهناك . فهذا لازم .

ايريك ماكلور: وسيلزم منهم أكثر اذا اندلعت الحرب • وماذا تنوين أن تفعلى يا آنسة ؟

الآنسة ريولو: التضميد يا سيدى • التضميد لجراح جنودنا •

السيدة ريولو : ألا ينبغى لك أن تقولى لجراح جنودنا الأمجاد ؟ فهكذا يسمونهم فى كل حرب •

أنجيلينا : أرى أنه يحسن بنا أن نتكلم فى شىء آخر •

السيد ريولو: يا طفلتى ليس فى امكاننا أن نتحدث فى شىء آخر وهذا نفسه الدليل على أننا قد صرنا فعلا فى حالة حرب • ولكننى شديدة التفاؤل • فأهل الشمال أولئك ليس لديهم أى دم فى عروقهم • هم لا يفكرون الا فى دولاراتهم • وكأنى بهم فى هزيمة منكرة منذ أول صدام •

مسز استرونج : نظراتك صائبة يا لورا •

السيد ريولو: أما أنت فمن دعاة الهزيمة • وكان دائما عندى شعور بأنك لا تعتقدين فى قضيتنا • فأنت لست من سلالات الأسر العسكرية مثلنا •

ادوارد برودريك: أتوسل اليك ألا تجعلى هذه الفترة العصيبة أكثر احراجا •

السيد ريولو: وماذا قلت لتحريك أشجانكم ؟ لم أر قط وجوها مستطيلة مثل وجوهكم . يخيل الى المرء عند رؤيتكم أن الله ألقى بنا وأنه ليس معنا .

ايريك ماكلور: لا أدرى لماذا كنت أتوقع هذه العبارة .

السيدة ريولو : ماذا تريد أن تقول ؟

ايريك ماكلور: لا شيء على وجه التحديد ولكن راعى الكنيسة يقول لنا منذ أسابيع كثيرة أن الله معنا فى الواقع .

السيدة ريولو : هل تستطيع أن تشك فى ذلك ؟

ايريك ماكلور: ليست المسألة هينة . لا بد أن نعرف أولا ما اذا كان الله يقف دائما مع الغالب ما دمت ترى أننا الغالبون .

السيدة ريولو : اذا كان الله معنا فلا أفهم حقا كيف يمكن أن يهزمنا الشمال . يوجد شيء من التجديف فى مثل هذه الأفكار . أليس كذلك يا سيد هوايت ؟

السيد هوايت: يا سيدتى حيث أنك تسألينى عن رأيى ، فسوف أقرأ عليك آية من الكتاب المقدس ، آية لم يلحظها أحد قط ، وهى فى سفر الملوك .

السيد ريولو: أنا ولوعة بسفر الملوك . ماذا تقول آيتك ؟

السيد هوايت: هذه « ان الذى يلبس ملابس القتال لايستمتع كما يستمتع الذى يخلعها » .

السيدة ريولو : لا أفهم بالضبط علاقة ذلك بما تقول ياسيد هوايت .

(تنهض) .

ايفيلين . سوف تغفرين لنا انصرافنا المبكر . ولكن الطريق ملىء بالوحل ويستغرق منا ساعة .

(تنهض الآنسة ريو لو) .

عندما نلتقى بعد ستكون معالم البلاد قد تغيرت .

(تقبل السيدة ريو لو مسز استرونج)

مسز استرونج : لقد كنت أحب هذه البلاد على نحو ما كانت عليه .

السيدة ريولو : تتحدثين عنها بصيغة الماضى وتشعرين بأن هذه الحال لا يمكن أن تدوم . الى اللقاء يا ادوارد .

ادوارد برودريك: سأصحبك الى عربتك ما دمت قررت الانصراف .

(تودع السيدة ريو لو وابنتها جميع الأشخاص الحاضرين . ويخرج الجميع من ناحية اليمين فيما عدا فيشفسكى وأريك ماكلور والسيد هوايت) .

السيد هوايت: أيها السادة أرجو المعذرة بالانصراف . فلم يتأخر بكم الوقت مثلما تأخر بالنسبة لرجل فى سنى .

واذا كنت على صواب فيما فهمت فانكم ترحلون غدا • فليحفظكم الله على الدوام •

(يصافح كلا منهما وينسحب من ناحيـــة الشمال)

ايريك ماكلور: أيها الملازم ، هل ترغب فى أن نلحق بأصحـاب البيت ؟ الجـــو الليلة من الروعة بحيث يغريهم بلا شك بالبقاء فى الشرفة الا اذا ذهبوا يتنزهون فى الشارع الكبير •

يان : أريد أن أتحدث معك يا أريك ماكلور •

ايريك ماكلور: هنا ؟ كما تحب •

يان : سيثير كلامى دهشتك بلا شك ، ورغم ذلك أنا على ثقة تتجـــاوز الحد أنى لن أستطيع أبدا أن أحكى لك ما فى نفسى • وربمـا أبلغ ذلك فى أماكن أخرى وأزمنة أخرى • أما الليلة بين هذه الجدران فلا • فكل شىء يفرض على الصمت • حتى الهواء الذى استنشقه هنا كأنما يكتم صوتى • وهذا المنظر والمرآة الكبيرة والأشجار التى أراها فى الشـــارع • • كل هـــذا ينصحنى بأن أسـكت • لا ينبغى الكـلام ولـو أدى ذلك الى الموت • على أنى أخشى أن تقودنى عبـــارة بعد

أخرى بلا وعى منى الى الافضاء لك بذات نفسى وأن أقع فى شباك الألفاظ . .

ايريك ماكلور: كنت تقول منذ لحظة أنك لا تستطيع الافصاح .

ميان : لم أكن أريد أن أفصح لك . ولكنى مضطر الى أن أتجاوز ذلك ما دمت قد قلت سلفا ما قلت .

ايريك ماكلور: ولكن من ذا يرغمك على متابعة الكلام ؟

ميان : أنت . أنت وحدك . هذه النظرة التى تلقيها علىّ .

ايريك ماكلور: أنا لا أعلم أى فكرة كونتها عنى يا ملازم فيشفسكى ، فلست سوى رجل بسيط تعود الكلام ببساطة . ولو لم أشعر بارتباكك بل وبؤسك لتركت هذه الغرفة . لأننى لا أفهم شيئا من كل ما قلته لى منذ لحظة . وأشعر بأن كل هذه الكلمات التى تستخدمها تخفى مالا تجرؤ على أن تقوله . ومن الجائز أن أستطيع معاونتك . .

ميان : معاونتى ؟

ايريك ماكلور: معاونتك على أن تقول لى ماينوء به قلبك وماترفض عباراتك أن تجعلنى أحيط به . أوه ! ـ أنا أبعد ما أكون من أن أثيرك الى النجوى ! فأنا أبغض

النجوى والألفة التى تثيرهـا • ولكننى سأكون أعمى اذا لم أفهم أن الرجل الذى أمامى رجل•• ماذا أقول • • رجل يعانى •

ميان : • يعـانى • نعم •

ايريك ماكدور: لا تظن أن أزمات الضمير هذه غريبة على • فأنا فى سن الشباب مثلك ولكنى أعرف القلب البشرى الى حد ما وقد وصلت الى شىء من النضوج فى الأسابيع الأخيرة •

ميان : فى الأسابيع الأخيرة ؟ ولكننا لم نتعارف الا منذ بضع ساعات •

ايريك ماكدور: لا أفهم العلاقة بين هذا وذاك • ولكن لمـاذا تنظر الى بهذه الصورة ؟ هل قلت شـيئا آلمك ؟ هلم • ألا ترى من الأفضـل أن تتكلـم بصراحة عمـا يشغلك ؟ فنحن على انفراد • وأعـدك بأن هـذا الحـديث سـيظل الى الأبد سرا • أعترف أنى شعرت نحوك بشىء من جاذبية عندما رأيتك لأول وهلة ، ولكننى أشعر الآن بذلك بسبب ما ينبىء عنه مظهرك •

ميان : لو تنبأت بما يدور فى نفسى وبقيت برغم ذلك هنا فلن أستطيع أن أصف لك الى أى حد يثير هذا

الاضطراب لدى ، ولكن هـذا مستحيل ، فقـد اعتقدت ولا أزال أعتقد انك رجـل صارم ... حتى عندما تتحدثين فان سحنتك وشـخصيتك ، جميعا يهيبان بى أن أصمت . وأى حركة تبدر منـك تذكـرنى بأننا لسنا من جنس واحـد من الرجال .

ايريك ماكلور: هل أنت متردد لأنك غريب عن هـذه البـلاد ؟ لعلك ترانى فى غـير صـورة البشر ، ولكننى مع ذلك مخلوق من نفس اللحم الذى خلقت منه . وعندى نفس الأريحية ونفس الشكوك . ويشبه قلبى أحيانا تلك المملكة المنقسمة على نفسها والتى يتحدث عنها الانجيل .

يان : اعذرنى فيما سأقوله لك ولكن عبوسك يشلنى . فأنت أحد أولئك الفضـلاء الذين يصفونهم لنـا أحيانا وهم الذين لا يخطئون أبدا . أما أنا فقـد انخدعت حياتى كلها . هل يبدو لك غريبـا أن أحدثك على هذا النحو ؟

ايريك ماكلور: يبدو لى هذا غريبا جدا . لقد قلت لك منذ هنيهة أن النجوى تضايقنى . أما الأخطاء التى ارتكبتها فلا شأن لى بها . فاما أن أكون مخطئا جدا واما أن

يكون سبب اضطراب ضميرك انك عشت في الجنوب فأحسست احساسا غامضا بأنك تناصر قضية الشمال .

يان : ليس هذا القصد .

اريك ماكلور: وماذا كنا نقول اذن منذ خمس دقائق ؟ اذن فلتجب يا ملازم فيشفسكى ! ما بك ؟ .

يان : لا أستطيع أن أقول لك شيئا . فكلانا يبعد عن الآخر بمقدار ألف كيلو متر .. ليس العراك بين الشمال والجنوب متعلقا بى وليست هذه الحرب حربى . وهناك شيء آخر يمزقنى لا تستطيع أن تفهمه . فهذا ما أراه على وجهك . وهذا الشيء الآخر هو جهل الأبرياء جهلا قاطعا بعناء الناس . لم تقع فى غرام قط يا اريك ماكلور . ولم تذل كبرياؤك قط . انت لا تعرف كما أعرف أنا الآن ماذا يعنى استعباد روح لروح أخرى ، كما تجهل كذلك سلطان الطلعة البشرية فى أمر الحياة والموت .

(ينظر الى عينيه) .

اريك ماكلور: وماذا تعلم انت عن ذلك ؟ اذا كنت عاشقا فمن أين لك اننى لست كذلك ؟

يان : أنت ؟

ايريك ماكلور: ولم لا ؟ أجب .

يان : واحسرتاه ! ـ ماذا يمكن أن أقول ؟

(يتقدم أريك ماكلور نحوه ويمسك بمعصمه بقوة) .

ايريك ماكلور: سوف نفترق بعد قليل يا ملازم فيشفسكى . سوف أتطوع فى قوات الجنوب . أما انت فستذهب حيث تشاء ولكننى متأكد من اننا لن نلتقى .

(يترك معصم يده) .

ولهذا السبب وبسبب ما قلته لى منذ هنيهة سأحدثك عما بقلبى دون مداراة ، أعرف تماما انهم سيقتلوننى .

يان : أنا أيضا سيقتلوننى . وهذا ما أبغيه .

ايريك ماكلور: ستموت مقتولا اذا شاء الله . ولكن لعلك مثلى تشعر عن يقين أن الطريق لن يؤدى الى أبعد من ذلك . فهو طريق ينقطع فجأة . . عندى الليلة شعور بأننى سأخطو خطوات على الطريق . . . عدة خطوات فقط ، على انى لا أشعر بأى ندم .

هل تعرف لماذا ؟ لقد حكمت علىّ بأنى بارد جامد لا احساس لى كأحد الفضلاء حقا • كل ما أعرفه هو اننى لم أشعر قط بالعناء على نحو ما أشعر به داخل هذا البيت •

يان : فى هـذا البيت ؟

ايريك ماكلور: فى هذا البيت شخص أنا مغرم به وهـو لا يعلم شيئا عن ذلك •

يان : (صمت) • لماذا لم تقل ذلك له ؟

ايريك ماكلور: فات الأوان • فات أوان الحب • فالحرب دوننا وأنا راحل •

يان : أهمس بهذه الكلمة وأنا أدعو الله ألا أموت الآن وألا يطيح الله بى • سوف أحمل الشك معى فى قلبى بدلا من الحقيقة التى لا تحتمل •

ايريك ماكلور: هل تخشى أن نكون مغرمين بنفس الشخص •

يان : لا • لا تقل ذلك • فهو مستحيل •

ايريك ماكلور: لماذا يستحيل ذلك •

يان : ستكفى كلمة واحدة لتفتح عينيك تعجبا • ولكن هذه الكلمة التى أعانى الموت لكتمانها ستبدو لك أكثر غموضا وأفظع من كل ما عداها •

ايريك ماكلور: أوظع ! ـ لديك عنى فكرة غريبة • أعتقد أنك تحسبنى من متطهرى السلف الذين كانوا يحملون الى المشنقة بكل الرجال والنساء المربيين لأنهم تعرضوا لغضب الله • لقد تغير العالم والحمد لله • وأنا أفهم جيداً أنك محب متيم ما دمت أنا نفسى كذلك • فالحب ليس خطيئة •

يان : الحب ليس خطيئة ؟

ايريك ماكلور: يبدو أن هذه العبارة تدهشك • ففيم بينى وبينك ألست أنت الذى تنتمى الى المتطهرين ؟

يان : هل تسمح لى بأن ألقى عليك سؤالا ؟

ايريك ماكلور: طبعا • سأرى هل فى امكانى أن أجيب عليه •

يان : قلت لى منذ قليل ان الشخص الذى تحبه لا يعرف شيئا عن ذلك الحب • ألم يخطر على بالك أن تعترف له بذلك •

ايريك ماكلور: بدون شك • ولكن لم يعد هناك وقت كما قلت لك •

يان : أليس الأصح أنك لم تجرؤ على ذلك ، وأن الشجاعة أعوزتك وأنك ربما ارتعدت لأول مرة، ارتعدت أمام كائن بشرى ؟

ايريك ماكلور: لا . أنت مخطىء . لم أشأ أن أجعله يمر بمحنة لا جدوى من ورائها وان أوحى اليه بحب يعرضه للعنـاء .

يان : على أنه ما كان أحـراك بالنجـاة لو بدرت منـك اليه كلمة الحب .

ايريك ماكلور: النجاة . نعم . لقد فكرت فى الأمر مليا ولكن لم يكن ينبغى ذلك .

يان : هل تستطيع أن تتصور رجلا تعوزه الشجاعة حتى لا يمكنه الاعتراف بحبه ؟ يقف وجها لوجه أمام الشخص الذى هو ولوع به ثم لا يقـوى على أن ينطق : « أنا أحبك ... »

ايريك ماكلور: نعم . قد يكون المرء شجاعا كل الشجاعة ، ولا تكون لديه تلك الهمة .

يان : حتى ولو كان مهددا بالموت بسبب ذلك .

ايريك ماكلور: حتى ولو كان مهددا بالموت . يا ملازم فيشفسكى ، ثمة شىء يجذبنى نحوك ولا أستطيع تفسيره أنا نفسى ، لأنى فى الحقيقة لا أعرفك . أذكر عندما كنت لا أزال فى الـكلية منـذ خمس ســنوات اننى أحسست فجأة بعاطفة نحو زميل لم أتبادل معـه

عشرين كلمة خلال فترة ثلاثة الأشهر. وأصبحنا لا ينفصل أحدنا عن الآخر . وحيث كان كل منا ذا نزعة دينية قوية فقد تبادلنا كتب العبادات . كل هذا قد يبدو اليوم مدعاة سخرية ، ولكن عمرنا لم يتجاوز حينئذ خمسة عشر عاما وكنا مخلصين على أصدق ما يمكن من الوفاء . وتزوج ذلك الفتى منذ ذلك الحين ، بل تزوج فتاة كنت أحبها، على أنى لم أرد به السوء بوصفه منافسى . ولا أدرى لماذا أفكر فيه عندما أراك ... أعتقد أننا فى ظروف مواتية كان يمكن أن نصبح أصدقاء أنا وانت وأن نظل أصدقاء سيوات طويلة ... ـ ألا تعتقد ذلك ؟ لماذا لا تقول شيئا ؟ أيبدو لك أنى بالغت فى الكشف عن ذات نفسى ؟ يجوز .

يان : كلا ...

ايريك ماكلور: أؤكد لك أننى لم أعتقد أن أمنح صداقتى أول من أقابل من الناس .

يان : ثق تماما اننى أقدر هذا فيك .

ايريك ماكلور: فماذا بك اذن ؟ انك شاحب الوجه . انظر الى نفسك فى المرآة .

يان : انظر الى نفسى فى المرآة ؟

ايريك ماكلور: أوه ! ـ اننى ملاحظ أنك منفعل . وأنا أيضا . لحظاتى الأخيرة التى أقضيها معك هى أغرب ما عشت . أعتقد انك تعيننى على أن أعانى ـ لعلى أشبهك فى خوفى مما أحب . لقد جدث على بعد خطوات من هذا الشارع الكبير . . . خذ . . . سأقص عليك حلما جرى لى منذ أربعة أشهر . لقد أتيت الى هنا مع أبى لأول مرة وقضينا السهرة فى هذه الغرفة قبل عيد الميلاد بقليل . وكانت تجلس منعزلة هناك بالقرب من الشباك . فلم يكن يهمها ما نحكيه . كان كلامنا عن السياسة . لقد كانت الحرب تبدو واقعة لا محالة عند من يمكنهم التفكير ولكنها لم تكن تصغى الى شىء . كانت على انفراد واضعة خدها على مسند ذلك المقعد ، بحيث لم أكن أرى سوى شكلها الجانبى . كانت رائعة الحسن ومع ذلك قد كان فى نفسى شىء يرفضها . يرفضها ، لأن الحرب كانت ماثلة ، يرفضها لأن الموت كان فى انتظارنا . وبقيت فى الجانب الآخر من « الصالون » انظر اليها ولكن بلا حراك . وعندما ذهبت للنوم فى تلك الليلة حلمت ... حلمت بأننى كنت هنا فى هذه الغرفة وأن كل الأحداث

تمر من جديد • وكانت هى جالسة هناك وظللت أنا هنا ولكنى فى هذه المرة عبرت « الصالون » لأصل اليها •

يان : ماذا تقول ؟

ايريك ماكلور: فعلا تركت مكانى ومشيت نحوها • فوقفت وعدلت قامتها محدقة بعينيها فى عينىّ • وعندما اقتربت منها تحسست يدها ومعصمها وقلت لها شيئا دون أن أسمع صوت كلماتى • قلت لها اننى أحبها وقلت انها لن تكون لسواى • ولكنها لم تجب ولعلها لم تسمعنى • فاستعدت المكان الذى كنت فيه • وبعد لحظة غادرت الغرفة •

يان : وبعد ذلك ؟

ايريك ماكلور: بعد هذا لا أعرف • فقد استيقظت • وأردت أن أكتب اليها خطابا ولكننى كنت أمزق خطابا بعد الآخر عندما أنتهى من كتابته • وفى يوم من الأيام قفزت على ظهر الحصان وعدوت به حتى بلغت حدود المزرعة ، ولكن شيئا منعنى من التقدم أكثر من ذلك كما لو كانت الأرض محرّمة حول هذا البيت •

يان : ولماذا عدت ؟

ايريك ماكلور: لقد عانيت أنا بالفا مداه ، كنت أريد أن أراها • وقد استسلمت •

جان : وعندما عدت الى رؤيتها صرت تنحاشاها من جديد • فقد كان فى امكانك أن تصبح الى جوارها فى الشارع ، وها أنت ذا هنا معى •

ايريك ماكلور: أعتقد أن من واجبى أن أهرب منها على حد قولك ما دامت الحرب تطرق أبوابنا • وبدا لى ما يشبه الوحى خلال الحاحك منذ قليل بأن أظل هنا معك •

جان : اذن فقد وضعت أرضك المحرّمة حول تلك المرأة وأقام ضميرك فى صبر جدارا خفيا حولها • ولكن حبك فيه قسط كبير من العقل وقد كبحت جماحه فى صورة فريدة • وهو شقى بالاحتفاظ به هنا ، والانصراف عنه الى هناك •

ايريك ماكلور: بأى حق تشك فى اخلاصى ؟

جان : بالحق الذى تعطينى اياه سنواتى الخمس والعشرون وتجارب القلب التى لم تتوافر لك • أنت تخدع نفسك ، وأنت فى سنك الخطيرة • ولو كنت عاشقا لتلك الفتاة الصغيرة لكنت الآن هناك تتنهد الى جوارها فى اتزان حتى يأتيك الملاك لسؤالك عن سبب أساك •••

ايريك ماكلور: أنت مجنون !

يان : ماذا تفعل هنا على انفراد معى فى هذه الغرفة بالحديث عن الحب ؟

(يمسك به من ذراعه ويدفعه أمام المرآة) .

أنظر الى نفسك ! ان المحرم واطار الفزع يحيطان بك أنت . بوجهك . بكتفيك وبيديك . انظر الى جبينك الذى لا تعلق به رغبة . وهذا الفم الذى لم يلتصق به أى فم بسبب خوفك وبسبب ما تبعثه فيمن حولك من الخوف .

ايريك ماكلور: اتركنى ـ اذا شئت أن تنزلنى فلنخرج من هنا ولكنك مجنون اذا كنت تسعى للشجار معى . أنا لا أريد بك أى سوء .

يان : أنا لا أسعى للشجار معك أيها الأبله ، ولكنى أتمنى لك الموت .

(يدخل ادوارد برودريك من ناحية اليمين) .

برودريك : ماذا هناك ؟ ماذا تصنعون ؟

يان : انني أسب هذا الرجل أمامك وأنعته بالجبن والتردد . ألا يكفى هذا ؟

(يتراجع خطوة ثم يلطم أريك ماكلور على وجهه . يتدخل ادوارد برودريك بينهما) .

بروديريك : اذا شئتما التقاتل فانتظرا الى الغد .

ايريك ماكلور: لا أقوى على الانتظار .

يان : وأنا أيضا . لا أستطيع الانتظار أكثر من العاشق الذى يندفع الى موعد غرامه . سنتقاتل الليلة تحت الأشجار .

بروديريك : ماذا فعل بك يا يان ؟

يان : ان هذا لا يخص سواى .

بروديريك : (الى ماكلور) هل شتمته ؟

ايريك ماكلور: لم يحدث شيء من هذا قط .

(تظهر السيدات من ناحية اليمين) .

مسز استرونج : ماذا هناك ؟ اننا نسمع صياحكم من الشارع .

(يتجه بروديريك نحوهن) .

بروديريك : اتركنا .

(تنسحب السيدات . ويتحدث الى الرجلين) .

لا تستطيعان المبارزة بغير شهود .

يان : ابحث عن الشهود حيثما شئت ولكننا ستتبارز الليلة . وادع لاريك ماكلور حرية اختيار الأسلحة .

بروديريك : يان ـ أتضرع اليك أن تفكر ، فأنت ترتكب جريمة .

ايريك ماكلور: سأعرف كيف أدافع عن نفسى يا سيدى . فالملازم فيشفسكى محق .

(متحدثا الى ادوارد بروديريك) .

لعلك لن تحرمنى شرف شهادتك .

يان : لابد من شاهد آخر .

(متحدثا الى ادوارد بروديريك) .

فلنبحث عن السيد هوايت . وأرجوك أن تجعلهم يحضرون المصابيح الى المجال الخالى من الأشجار بالقرب من المخازن . فذلك المكان هو أنسب مكان لما تريد . أما الشارع فانه قريب جدا من البيوت .

بروديريك : يان . . .

(فيشفسكى يحملق فى عينيه) .

يان : (متحدثا الى ادوارد بروديريك) ـ فلتعمل ما قلته لك .

(يخرج من ناحية الشمال مع ايريك ماكلور) .

المنظـــر الثـــانى

(نفس المنظر الأول • الأضـــواء مطفأة ما عدا المصباح الذى كان منيرا فى الفصل الثانى • تدخل اليزا من ناحيـــة الشمال • تحرك الوسائد وتبـــدو كأنهـــا تبحث عن شىء) •

اليزا : منديل سيدتى • ومروحة سـيدتى • تفقـد كل شىء هذه العجوز المجنونة • الساعة الآن الثالثة صباحا وهى لا تزال مستيقظة • آه •

(تعثر على المروحة بين قوائم « الكنبة » فتأخذها وتبسطها وتتقدم نحو المرآة) •

ولو ! • • • هه ؟ ما يسمـــونه الجنس البشرى • • •

(يدخل جاريا من ناحيـــة اليمين الزنجى الذى ظهر فى الفصل الأول) •

ماذا تصنع هنا يا ولد ؟ فى هذه الساعة ! ــ اذا لم تعد الى البيت سأجعل أمك تضربك بالسياط •

الزنجى الصغير : آنسة ليزا •

اليزا : ماذا ؟ • تكلم •

الزنجي الصغير : لقد جريت ـ جدى ـ جدى ...

اليزا : (وهى تهزه) ـ هل تتكلم أو أضطر الى انتزاع احدى أذنيك ؟

الزنجي الصغير : أيقظنى جدى منذ قليل لأبحث عنك . وقال لى يجب أن أخطر السيد .

اليزا : وعن أى شىء يجب أن تخطر السيد فى هذه الساعة ؟

الزنجي الصغير : لقد قال « ستقول اليزا للسيد : سوف يمر الله بيننا وسيضربك أنت يا سيد المزرعة وستتعرض للضياع اذا لم تقم بالصلاة » .

اليزا : حسن يا أيها الزنجى الصغير . ستعود الآن الى البيت وستخبر جدك أنه صاحب رؤى . واذا رآنى فى طريقى الى ازعاج السيد من أجل ابلاغه هذه الخرافات فسيحصل بذلك على رؤيا جديدة .

الزنجي الصغير : لقد قال ان الله سيحاسبك على هذا اذا لم تكونى مطيعة . فقد قال : سيحاسبها الله على ذلك .

اليزا : حسن ـ ستقول الى جدك الزنجى العجوز أننى لا أخضع لأوامره . الآنسة اليزا تبعث بأسمى

تمنياتها الى العم جون وتحيطه علما بأنها لا تتلقى منه الأوامر .

هل فهمت ؟ والآن . . الى الطريق .

(يخرج الزنجى من ناحية اليمين . وفى نفس الوقت تقريبا يدخل جيريمى من ناحية اليسار) .

جيريمى : آنسة اليزا . ألا تعلمين ؟ يقولون فى المطبخ أن السيدين الشابين الأبيضين سوف يتبارزان بجوار المخازن . لقد قال السيد لبرنابيه ولوك أن يحملا أربعة مصابيح .

(تدخل مسز استرونج وانجيلينا من الشمال) .

مسز استرونج : اخرج يا جيريمى . اليزا . . الىّ بالمنديل والمروحة .

اليزا : ها هى المروحة يا سيدتى . أما المنديل فلم أعثر عليه بعد .

مسز استرونج : (تأخذ المروحة) ـ احضرى لى منديلين من « الكومودين » .

(تخرج اليزا) .

انجيلينا . متى تعلمين أنه لا يليق بالمرء أن يبكى أمام الزنوج ؟ هذا عار .

أنجيلينا : لا أستطيع أن أمنع نفسى من البكاء •

مسز استرونج : السيدة الفاضلة تستطيع دائما أن تمنع نفسها من البكاء • الأحداث التى تجرى طبيعية جدا ، وهى مطابقة تماما لتقاليد الجنوب • مبارزة على ضوء المصابيح • مرحى ! أحب ذلك • وأقل ما يجب هو أن أذهب لمشاهدة ما يحدث • اطلبى الى ريجينا أن تحضر • أود أن تكون هنا معنا • لقد اختفت عن الأعين بعد العشاء •

(تخرج انجيلينا من ناحية الشمال) •

مبارزة • • • هذان الشابان الجميلان بالقمصان ذات الأساور ••• ملازمنا الصغير يحمل نارا فى عروقه •

(تدخل اليزا من ناحية اليمين وتعطى منديلين لمسز استرونج ثم تنصرف) •

منديل لانجيلينا ومنديل لابنة الشمال الصغيرة • تكاد تصرخ كل منهما • لا أرى سببا لذلك • كل ما فى الأمر أن هذين الشابين سيسلخ أحدهما الآخر بالسيوف كما تفعل قطتان فى غضب • ولكنهما سيتراضيان بعد ذلك فى الخمر الجاهز أو الشراب المعد على طريقتنا • لا • • فالوقت

متأخر لتناول الشرب • لا بد من انتظار اعـداده فترة طويلة • اذن فالمشروب المسكر • اليزا •

(تنادى مرة أخرى بعد فترة قصيرة) •

اليزا

(اليزا تدخل من ناحية اليمين) •

اليزا : سـيدتى ؟

مسز استرونج : لا شيء • فلا ينبغى أن تعد فراش العروس قبـل أن يتـم الزواج • ابحثى عن انجيلينـا ودعيهـا تحضر هنا •

اليزا : ها هى ذى يا سيدتى •

(تدخل أنجيلينا من الشمال) •

مسز استرونج : حسن • انصرفى اذن يا اليزا •

(تخرج اليزا) •

ماذا حدث ؟

أنجيلينـا : ريجينا ليست فى غرفتهـا •

مسز استرونج : من المؤكد أنها تحلم بالأوهام فى الشارع •

أنجيلينـا : هل تحبـين يا خـالتى ايفيلين أن أذهب لأبحث عنها ؟

مسز استرونج : أحب أن تبقى هنا الى جوارى • وعليك أن تجلسى أولا • انى أتضايق لمرآك تروحين وتغدين • والأفضل أن تصعدى لتنامى •

أنجيلينا : أوه يا خالتى ايفيلين • لن أستطيع النوم • دعينى أبقى هنا لحظة قصيرة أيضا • فأنا أشعر بالخوف بمفردى •

مسز استرونج : مم تخافين يا غبية ؟ من الأشباح ؟ ليس عليك الا أن تقرئى الصلوات • هيا • اجلسى هناك • واعطنى قبل أن تجلسى علبة « البسكويت » •

(انجيلينا تمد اليها علبة البسكويت • مسز استرونج تفتحها وتعطى بسكويته لانجيلينا) •

كلى • لا شىء يعيد الى الانسان هدوءه مثل البسكويت • أتساءل متى سيعود هؤلاء الأولاد •

(تأكل بسكويته) •

يا لها من قصة ـ كل هذا يتعلق بحرب لعلها لا تقوم أبدا •

أنجيلينا : هل تشاجرا بسبب الحرب ؟

مسز استرونج : ولأى سبب آخر تريدين أن يتشاجر شابان فى ليلة ١٢ أبريل سنة ١٨٦١ ؟ لعلهما ليسا على

وفاق بشأن سياسة الجنوب • على أية حال لم يقع شجار قط فى بونافنتور منذ ثمانية عشر عاما كاملة• هذا من شأنه أن يوثق التقاليد •

أنجيلينا : ولكن كيف تحبين المبارزات ما دمت لا تحبين الحروب يا خالتى ايفيلين ؟

مسز استرونج : يا للسؤال الجميل ـ الحرب تجعل الجميع يضطربون • فالحرب الحديثة تملك اليوم وسائل متقنة وتبلغ سرعة قذف مدافعها طلقة كل ثلاث دقائق • ثم اننا لا نعرف أين تقع قذائفها على وجه التحديد•أثناء حرب الاستقلال سقطت قذيفة هناء حدث ذلك نتيجة خطأ • ومع ذلك فقد نفذت من أسفل باب ••• أما المبارزة فلا تتعلق الا بشابين من ذوى الجاذبية والعبط يمزحان بالتضارب بالسيوف داخل الغابة •

أنجيلينا : وماذا يحدث عندما يتعرضان للخطر ؟

مسز استرونج : أوه ! ـ فى الوقت الحاضر لا يتعرضان لخطر كبير • أما قديما فكان الخطر كبيرا فعلا • عندما كنت بنتا صغيرة عادوا بجدى الينا محمولا على مصراع بفتحة فى صدره تكفى لادخال قبضة اليد • وقد حدث ذلك بسبب امرأة • كانت هناك قصة حب •

أنجيلينا : قصة حب ؟

مسز استرونج : هيا هيا يا ابنتى الصغيرة • ابتلعى « بسكويتة » • فلا تهم قصص الحب الأطفال فى شىء ••

أنجيلينا : ومتى تظنين انهما سيعودان ؟

مسز استرونج : فى أقل من ربع الساعة • كاد كل شىء ينتهى لولا ما بذلوه لايقاظ السيد هوايت من سريره • لم يكن الرجل العجوز الطيب يريد أن يسمع شيئا • ولكن ادوارد توسل اليه وصار يهزه ويساعده على لبس السروال ••• أف لك اذن ، يا أنجيلينا تدفعيننى الى أن أذكر أشياء لا تليق •••

أنجيلينا : أتمنى أن يكون الجميع قد عادوا سلفا يا خالتى ايفيلين • ويفزعنى أن أتذكر أنهم هناك يحملون سيوفهم •••

مسز استرونج : تفزعين يا ابنتى الصغيرة ؟ ليس لديك ما تخشينه بشأن الملازم فيشفسكى أو بشأن الآخر • ولكن لا يبدو على ماكلور الصغير أنه متمكن من فن المبارزة بالسيف • فهو شاب فيه رقة وذو عقل وحكمة وينقصه • • شىء من الشراسة •

أنجيلينا : خالتى ايفيلين • أتمنى ألا يصاب السيد ماكلور بأذى •

مسز استرونج : يا لها من فكرة ! ـ أفضل أن يصيبه الأذى وألا يصيب الملازم فيشفسكى • لا نكاد نعرفه معرفة حقيقية هذا الصغير ماكلور • ما هذا السيد الذى يبحث لنفسه عن مشغلة لدى الناس ؟ ولماذا جاء يحتك بالملازم فيشفسكى ؟ • فلو أصابه الحظ العاثر فسيكون ذلك غلطته هو • أخبرينى يا انجيلينا ألا تكونين مجنونة ؟ تبكين ؟ أين توجد مناديلى ؟ كانت هنا •

أنجيلينا : (ناحية) ـ معى منديل •

مسز استرونج : اذن فامسحى دموعك واصعدى لتنامى • انك تتسببين فى ضجرى • اذهبى ـ هل سمعت كلامى؟

(انجيلينا تخرج من ناحية الشمال وتبقى مسز استرونج بمفردها) •

اننى أستاء من مرأى الناس يبكون • كل هذا الانفعال والنحيب بسبب شابين يتبارزان !

(صمت) •

اليزا •

(تمضى بضع لحظات ثم تدخل اليزا من ناحية الشمال) •

اذهبى الى الشارع الكبير وانظرى ما اذا كانت الآنسة ريجينا تتنزه هنالك .

اليزا : سيدتى . لعل الآنسة ريجينا فى غرفتها .

مسز أستروفج : لا ، فقد بحثت عنها هناك الآنسة انجيلينا منذ قليل . افعلى ما آمرك به .

(اليزا تخرج من ناحية الشمال . صمت) .

لم أكن قط أحب العزلة . أما الليلة فالعزلة ثقيلة الاحتمال على . عندما كنت صغيرة كانوا يقولون لى « قومى بالصلاة . تحدثى الى ربك فى الغيب وسوف يستجيب الرب لك » . ينبغى أن يكون لدى المرء شىء يقوله له وأن يتأكد من أنه سوف يستجيب . ولكننى أشعر بأنى أتحدث الى نفسى حينما أؤدى الصلاة . ربما يكون الذى أقوله شرا كل الشر . وكثيرا ما أتساءل كيف يكون الاعتقاد على نحو ما يعتقد هذا العجوز المخبول عم جون . هو يتصور الله على هيئة عجوز ضخم ينصت الينا فى طيبة . ويتحدث اليه كما يحدث شخصا » . « اسمع يا الهى . . أطلب اليك هذا . اسمع يا الهى ـ افعل ذاك . . . » . والغريب هو أنه

يحصل أحيانا على ما يطلبه • أما أنا فأقوم عبثا بكل ما يجب ، ولا يحدث شيء أبدا •

(تدخل اليزا بدون صوت من ناحية الشمال وتظل بلا حراك على بعد خطوات خلف مسز استرونج)

أطلب ولكننى واثقة من أن أحدا لا يسمعنى ما دمت لا أسمع ردا • فمثلا لو طلبت أن يعود هؤلاء الأولاد بسرعة فى سلام وأمان طبعا • فهذه هى الصلاة الملائمة المعقولة • ولكننى لا أدرى لماذا أخاف أن أقوم بصلاتى • ولعل ذلك لأنهم لو تأخرنا وقتا طويلا سيكون ذلك برهانا على أن أحدا لم يصغ لصلاتى ، وانه لم يكن ثمة شخص ما • عندما كنت صغيرة كنت أعتقد فى وجود غيبى • أوه ! لو كان هناك ثم وجود غيبى !

(صمت) •

لماذا لم تعد اليزا ؟ اليزا •••

(تتقدم اليزا وتقف أمام مسز استرونج) •

متى دخلت الى هنا ؟ لم أسمعك تدخلين •

اليزا : لقد دخلت الآن يا سيدتى •

مسز استرونج : أنت كاذبة • لقد كنت تتصتين لما أقول • هل وجدت الآنسة ريجينا ؟

اليزا : الآنسة ريجينا موجودة أمام باب المنزل تحت الأشجار .

أخبرتنى انها لا تستطيع أن تنام وأنها تود أن تبقى خارج الدار .

مسز استرونج : فلتفعل ما تشاء ما دامت سترحل غدا .

(يدخل بارنابيه الخادم الزنجى الشاب وعلى وجهه ملامح الجزع الشديد) .

ماذا هناك يا بارنابيه ؟

بارنابيه : سيدتى . . اليزا . يريد سيدى أن تخبرى لويس وتوماس بالحضور بسرعة الى المخازن .

(تخرج اليزا من ناحية الشمال) .

مسز استرونج : بارانابيه .

(تنهض من مقعدها) .

انصرف .

بارنابيه : سيدتى ان شيئا قد حدث .

مسز استرونج : اخرج من هنا .

(تضرب الأرض برجلها . يخرج بارنابيه مهرولا من ناحية الشمال) .

الهى . . . أتكلم معك الآن ـ وستصغى الىّ ـ لا أريد أن يكون قد حدث مكروه . اذا كنت

قادرا على كل شيء أمكنك أن تمنع حدوث أى مكروه .

(تمشى نحو الشباك ثم تعود) .

لا أريد أن أعانى .

(تذهب من جديد نحو الشباك ثم تتجه الى المنضدة وتحمل المصباح) .

اليزا !

(صمت) .

اليزا !

(تدخل اليزا من ناحية الشمال) .

خذى هذا المصباح واصعدى أمامى الى غرفتى . ستعاونينى على خلع ملابسى ، وسأنام .

تحمل اليزا المصباح وتخرجان من ناحية اليمين . يظل المنظر خاليا لحظة . وتظهر تباشير أضواء الفجر من أقصى المنظر . بعد وقت قصير يدخل السيد هوايت من ناحية الشمال ويتجه نحو النافذة فى أقصى القاعة ويفتحها على مصراعيها) .

السيد هوايت: فليسامحها الله .

(تدخل ريجينا من ناحية الشمال وتظل على بعد خطوات من السيد هوايت . تبدو هادئة بشكل عجيب وتتكلم دون أن ترفع صوتها) .

ريجينا : يا سيد هوايت . . .

السيد هوايت: ماذا تريدين يا آنسة ريجينا ؟ اصعدى الى حجرتك . لا ينبغى أن تبقى هنا .

ريجينا : اعرف ما حدث يا سيد هوايت . لقد سمعت بارنابيه يحكى لاليزا أمام باب البيت . ولا أخاف من شىء .

السيد هوايت: سوف يحملونه الى هنا بعد لحظة . هذه ارادة الله . لقد طلبت منهم ألا يثيروا غضب الله ، ولكنهم لم يكونوا يسمعون شيئا مما أقول ... لم يحاول الملازم الدفاع عن نفسه . حاول أن يدافع عن نفسه قليلا فى أول الأمر ولكن ملامح وجهه تغيرت قرب النهاية . كان يقدم نفسه ضحية لهذا الغضب الذى أطلق له العنان . أما الآخر فكان مريعا وظل يوجه الضربات تلو الضربات . . حتى لكأنه ملاك الموت . وأصابت ضربته الأخيرة رأس خصمه ووجهه كله . وسقط الرجل كتلة هامدة .

ريجينا : وأين هو الآن ؟

السيد هوايت: لقد قلت لك ان السيد بروديريك أمر بحمله الى هنا . سأنصرف من هنا يا آنسة فقد قمت بكل ما استطعت . وأرجوك أن تنصرفى .

ريجينا : لا . سوف أبقى هنا .

(يخرج السيد هوايت من ناحية اليمين. وتقف ريجينا الى اليمين حيث كان يقف الملازم فيشفسكي تماما ، في مبدأ المسرحية، لا تتحرك . وبعد لحظات يدخل ادوارد بروديريك وزنجيان يحملان جثة الملازم فيشفسكي . غطوا رأسه بقميصه. ويدخل خلفهما ماكلور . ولا يزال بعض الظلام مخيما فلا يلحظ أحد وجود ريجينا . يقف الزنوج وسط القاعة) .

توماس : أين نضعه يا سيد ؟

(يشير ادوارد بروديريك الى أرض الحجرة . ويضع الزنوج الجثة في حرص على الأرض) .

بروديريك : توماس ، عليك أن تذهب الى ويلمنجتون لاخطار القسيس والطبيب واحضارهما هنا في العربة .

توماس : هل تحب أن أنتظر حتى يطلع النهار يا سيد ؟

بروديريك : لا . اذهب فورا . سيطلع النهار عليك في ويلمينجتون . انصرف حالا .

(ينسحب الزنوج . صمت طويل) .

لا أكاد أعتقد أنه مات .

ايريك ماكلور: أنت تعرف جيدا أنه مات . فقد رأيت ذلك بنفسك .

بروديريك : لا • ما رأيته لم يكن حقيقيا •ما رأيته وما نسميه الحقيقة هو ذلك الفتى الذى كان يقف بيننا هنا منذ ساعة وكان يتحدث ويعيش •

ايريك ماكلور: لقد بحث عن الموت • لقد أراده بكل قواه • فهمت ذلك بعد فوات الوقت • لم يحاول حتى أن يدفع عن نفسه آخر ضربة وجهتها اليه •

بروديريك : لقد قتلته •

ايريك ماكلور: ألم يضع هو بنفسه السيف فى اليد التى ضربته ؟ لقد جعل منى وسيلة لتنفيذ رغبة أقوى من رغباتنا• لا نملك شيئا فيما هو مقدور •

بروديريك : ولكنك أنت الذى قتلته •

ايريك ماكلور: لقد كان يعرف الجنوب • وكان عليه أن يعرف أن المرء لا يلطم رجلا من بلادنا اذا كان لا يريد أن يموت • لقد أراد الله هذا •

بروديريك : لا تقحم الله فى القتل • لا تجعل منه شريكا لك • فلو كان على نحو ما تقول فسيكون فظيعا ذلك الاله الذى تطلب جثة مشوهة لفتى فى الخامسة والعشرين • أنت تتحدث كتلميذ فى المدرسة • وأسائل نفسى ماذا يصبح الأنجيل فى عقيدتك

جينا : اذا كنت لا تزال هنا كما أعتقد فاسمعنى يا يان .

(صمت) .

لن أزعجك بدموعى . فهـا أنت ذا ترى أني أتحدث اليك فى هدوء ، كما تكلم الأم طفلها حينما ينام . عندما اقتربت منى منذ قليل وطلبت منى الصفح لم أنطق بشىء ولكن قلبى كان يتفجر . هل تفهم يا يان ؟

(صمت) .

سيمسح الله كل الدموع . هكذا قال الله . سيمسح دموعك ودموعى .

(تصرخ صرخة قوية) .

يان . عد .

(تنهار الى جانب الميت . وفى نفس اللحظة تصل زمجرة المدفع . تهب الريح وتصطفق مصاريع الشباك) .

ستار

روائع المسرح العالمى

صدر منها حتى الآن ٧١ مسرحية

رقم العدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
١	الشقيقات الثلاث	أنطون تشيكوف
٢	أعمدة المجتمع	هنريك ابسن
٣	سيرانو دى برجراك	ادمون روستان
٤	مروحه ليدى وندمير	أوسكار وايلد
٥	بنيلوبى	سمرست موم
٦	الغربان	هنرى بك
٧	اليكترا	جان جيرودو
٨	توركاريه	ر . لوساج
٩	الدائرة	سمرست موم
١٠	شاترتون	الفرد ديفينى
١١	الأم	كارل تشابك
١٢	اللعبة الغادرة	جون جالزورذى
١٣	لعبة الحب والمصادفة	ماريفو
١٤	ست شخصيات تبحث عن مؤلف	لويجى بيراندللو
١٥	عربة اسمها الرغبة	تنسى وليامز
١٦	عزيزى بروتس	ج . م . بارى
١٧	رجل الله	جابرييل مارسل
١٨	هيدا جابلر	هنريك ابسن
١٩	سباق المشاعل	بول هارفييه
٢٠	كنـــوك	جول رومان
٢١	جونو والطاووس	شين أوكاسى
٢٢	دون جوان	موليير

رقم العدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
٢٣	بيت برناردا ألبا	فدريكو غرسنيه لوركا
٢٤	القرد الكثيف الشعر	يوجين أونيل
٢٥	مأساة الدكتور فوستس	كريستوفر مارلو
٢٦	الأستاذ كلينوف	كارن برامسون
٢٧	ثورة الموتى	اروين شو
٢٨	ما تعرفه كل امرأة	أوسكار وايلد
٢٩	أهمية أن يكون الانسان جادا ...	جيمس بارى
١٠	دائرة الطباشير القوقازية	برتولت برشت
٢١	منزل القلوب المحطمة	جورج برناردشو
٣٢	القيثارة الحديدية	جوزيف أوكونور
٣٣	أفكار صبيانية	نويل كوارد
٣٤	زوجة مستر تانكرى الثانية ...	آرثر وينج بنيرو
٣٥	عندما نبعث نحن الموتى	هنريك ابسن
٣٦	لا وقت للفكاهة	س . ن . بيرمار
٣٧	سيجفريد	جان جيرودو
٣٨	علماء الطبيعة	فريدرش دورنمات
٣٩	رغبة تحت شجرة الدردار	يوجين أونيل
٤٠	حورية البحر	هنريك ابسن
٤١	جزاء خدماتهم	سومرست موم
٤٢	ايولف الصغير	هنريك ابسن
٤٣	بلياس وميليزاند	موريس ماترلنك
٤٤	الاله الكبير براون	يوجين اونيل
٤٥	حاملة المصباح	رجنالد بركلى
٤٦	آل باريت	رودلف بيزييه
٤٧	الزفاف الدامى	فدريكو جرثنا لوركا
٤٨	الخاطبة	ثورنتن ويلدر
٤٩	اعرف نفسك	بول هرفيو
٥٠	القصى	ترنتبوس أفير
٥١	فترة التوافق	تنيسى وليامز

رقم العدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
٥٢	بيرجينت	جون جلزورذى
٥٣	الابن الأكبر	جون جلزورذى
٥٤	زيارة السيدة العجوز	فريدريش دورينمات
٥٥	ديدرى فتاة الأحزان	جون ميلنجتون سينج
٥٦	المسافر بلا متاع	جان انوى
٥٧	الحالمة	المر رايس
٥٨	كلهم أولادى	آرثر ميلر
٥٩	أوندين	جونهولد افرايم لسينج
٦٠	مينافون بارنهلم	جان جيرودو
٦١	معطف الفراء	جرهارت هاوبتمان
٦٢	كرنفال الأشباح	موريس دوكوبرا
٦٣	« هو » الذى يصفع	ليونيد أندرييف
٦٤	فتى الغرب المدلل	جون ملنجتون سينج
٦٥	قواعد المبارزة	لويجى بيراند
٦٦	عرفوا ما يريدون	سيدنى هوارد
٦٧	المحراث والنجوم	شون اركيس
٦٨	أميديه	ارجين ينسكو
٦٩	المسامر	جون أوسبورن
٧٠	أجازة	فيليب بارى

ملتزم التوزيع فى الداخل والخارج : مؤسسة **الخانجى بالقاهرة**

وتطلب من المكتبة القومية ٥ ميدان عرابى « القاهرة »

ومن مكتبة المثنى ببغداد ودار العلم للملايين ببيروت

الشركة المصرية للطباعة

حسن مذكور وأولاده

٣٠ شارع عبد الخالق ثروت بالقاهرة

تليفون ٥١٥٧١ — ٤٨٩٢١